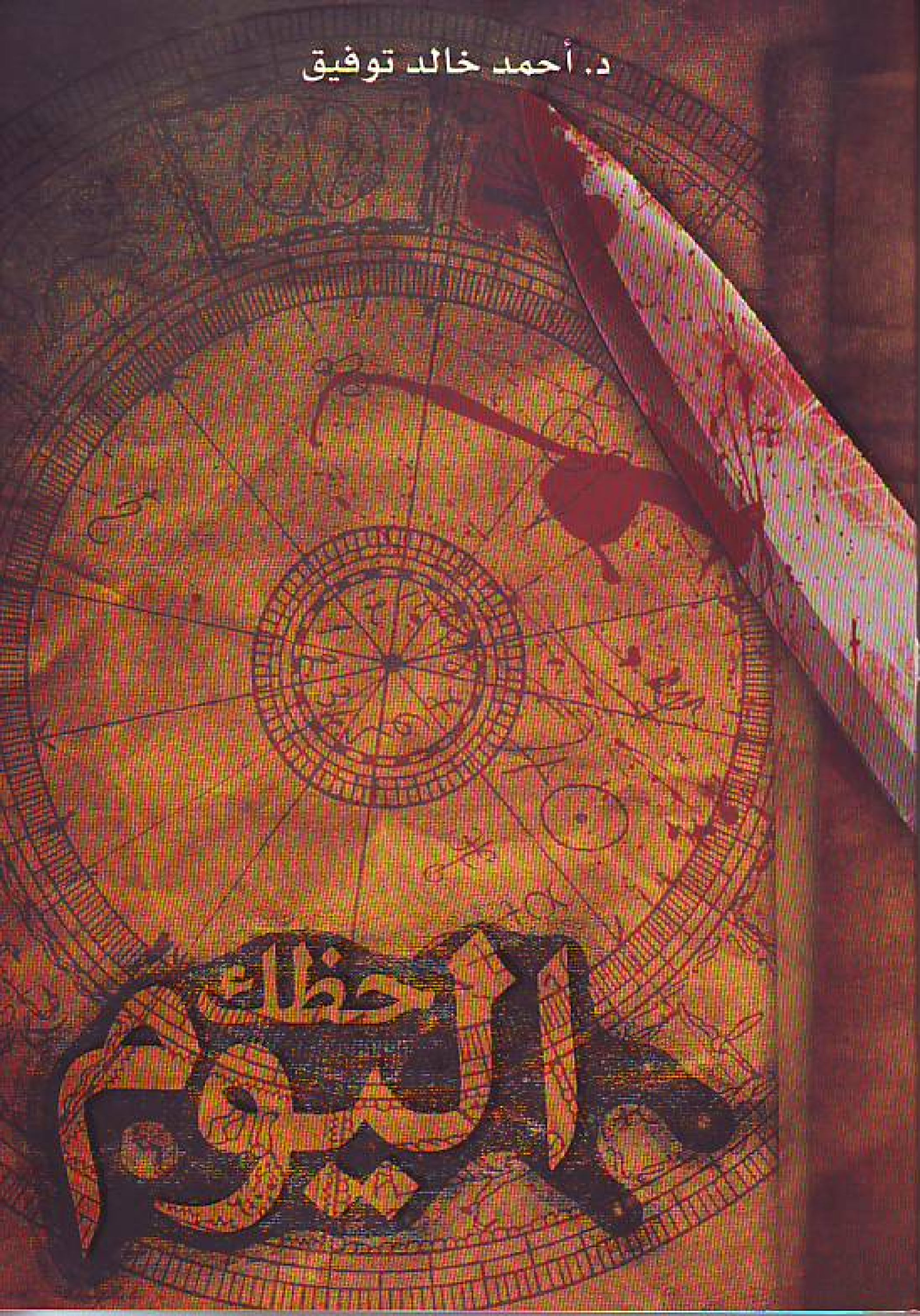

د. أحمد خالد توفيق
حظك اليوم



د. أحمد خالد توفيق

اثنا عشر برجًا ..

اثنتا عشرة طريقة للموت ..

ولعنة تطاردك في كل صوب ..

تمر بالأطوار المعتادة: في البداية أنت لا تعرف .. بعد هذا أنت لا تلاحظ.. ثم تلاحظ فلا تصدق .. ثم تصدق فلا تعرف ما ينبغي عمله ..

يقول الغربيون إنك لا يمكن أن تكون حذرًا أكثر من اللازم، وهذه القصص تطبيق عملي صادق لصحة هذه المقولة ..





الكويت
2008

مقدمة

اثنا عشر برجاً..

اثنتا عشرة طريقة للموت..

ولعنة تطاردك في كل صوب..

تمر بالأطوار المعتادة: في البداية أنت لا تعرف.. بعد هذا أنت لا تلاحظ.. ثم تلاحظ فلا تصدق.. ثم تصدق فلا تعرف ما ينبغي عمله..

لا تعرف أن فلاناً مات.. ثم تعرف أن فلانة ماتت لكنك لا تلاحظ ظروف ميتتها الغريبة.. ثم تلاحظ الظروف لكنك لا تصدق.. لابد من تفسير علمي لهذا.. الآن أنت تصدق لكن ماذا بوسعك أن تفعل؟

أنا لا أؤمن بالأبراج ولا أعتقد أنها تتحكم في حياتنا، وقد قابلت ألف واحد من برج القوس فرأيت ألف شخصية وألف نمط نفسي، ولو كانت الأبراج صادقة لما كان البشر بهذا التعدد السخي، ولما وجدت إلا ١٢ نمطاً لمن حولك.. الحياة ليست بهذه البساطة. لكن هؤلاء المحررين الشباب اقتربوا جداً من الحقيقة، وتسببوا بشكل ما في موت مشعوذ شرير هو (عدنان) الفلكي الذي تملأ إعلاناته الصحف ولا يتعامل إلا ببطاقات الائتمان.. إنه شخصية فمية من الطراز الذي لا يقبل الخسارة، ويعتبر من يعاقبونه على ذنبه

مجرمين، وهكذا عرف الصحفيون الحقيقة القاسية: قد تكون الأبراج خرافة لكن لعنة المشعوذ حقيقية تماماً ...

الأسوأ من هذا أن اللعنة تملك ثقافة واسعة وتلعب بالمترادفات والمجاز .. لا يجب أن يطاردك أسد هارب من حديقة الحيوان لو كنت من برج الأسد، وإلا لكانت الحياة رائعة الجمال.. هناك أسد ما في مكان ما سوف تكتشفه وأنت تطالع ما حدث لكل صحفي من هؤلاء..

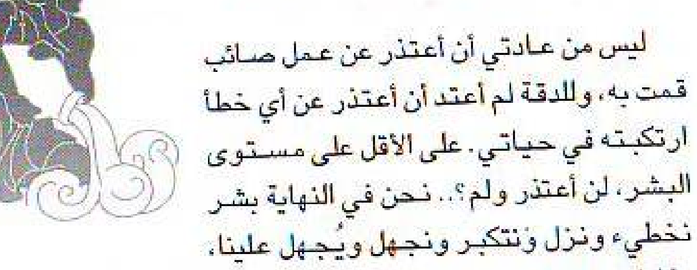
يقول الغربيون إنك لا يمكن أن تكون حذراً أكثر من اللازم، وهذه القصص تطبيق عملي صادق لصحة هذه المقولة..

هل من مفر؟

هل من نهاية لهذا الكابوس؟

هذا ما ستعرفه عندما تقرأ هذه المجموعة من القصص القصيرة التي يربطها خيط واحد..

من ٢١ مارس إلى ٢٠ إبريل



ليس من عادتي أن أعتذر عن عمل صائب قمت به، وللدقة لم أعتد أن أعتذر عن أي خطأ ارتكبته في حياتي. على الأقل على مستوى البشر، لن أعتذر ولم؟.. نحن في النهاية بشر نخطيء ونزل ونتكبر ونجهل ويُجهل علينا، وكلنا في النهاية بؤساء أرغمتهم ظروفهم على الزلل، فلمن أعتذر ولم؟

لو لم يكن هذا البرد وهذا الظلام لاستطعت أن أعبر عن أفكاري بشكل أفضل، لكن تفكيري مضطرب تمامًا..

لقد تعلمت أن أسامح وأنسى.. أسامح نفسي أولاً ثم أسامح الآخرين، لكني لا أطيق الشر وإيذاء الأبرياء.. لا أطيق من يعتبرني غبيًا أو يعتبر الآخرين أغبياء.. لهذا لن أعتذر.. آسف.

ما حدث لـ(عدنان) استحقه بالتأكيد، ولا اشعر بأية شفقة تجاهه. لقد جمع ما يكفيه من مال. سلب الأثرياء ولعب بعواطف الحسناوات، ويكفي أن ترى إعلانه عن نفسه لتصاب بالقشعريرة. الرجل يملك أكثر من رقم فاكس ويظهر في أكثر من قناة فضائية، ولديه عدة أرقام حساب في مصارف أوروبية. الرجل يقضي إجازته في الكوت دازير ولديه مزرعة خيول، ويبدو أنه ممن يصطادون الثعالب في بريطانيا ويتزلجون في سان موريتز.

(عدنان) الفلكي.. سوف تجد هذا الإعلان باهظ الثمن في مركز الصدارة من أية مجلة، ولسوف تجد كلامه المنشور يحاول محاولة ساذجة أن يتخذ طابعا دينيا. تارة يحاول تقليد الأسلوب القرآني وتارة يقلد الإنجيل على غرار (الحق أقول لكم).. الخ..

ثم صورته!

هذا المخلوق القميء بشع الخلقة الذي يطل عليك من الصورة بعينيه الناريتين اللتين دربهما عدة ساعات أمام المرآة قبل أن يلتقط الصورة. كل ما عليك هو أن تخبره بتاريخ ميلادك وترسل ورقة بخطك وقطعة من ثيابك، وهو سيعطيك تاريخا ومستقبلاً كاملين.. سوف يخبرك بمن تتزوج ومتى تموت وأين..

الغريب أن الناس كانت تصدق.. تصدق وتدفع. ما شأنكم أيها الحمقى؟.. الرجل يوشك على أن يعلق على صدره لافتة تقول: أنا نصاب، لكن الناس مولعة بأن تنخدع حقًا. كلما تضخمت الكذبة كان تصديقها أسهل.

وفي المجلة التي أعمل بها استدعانا رئيس التحرير، وقال لنا إنه راغب في تحقيق سبق صحفي. سوف نقوم بلعبة خبيثة نخدع بها ذلك النصاب، وسوف نفضحه بالوثائق. كنا عشرة محررين وسكرتير التحرير ورئيسه. هذا يعني أننا كنا اثني عشر متآمرًا. وكانت الحيلة خبيثة لن احكيها لك بالتفصيل لأننا قد نلجأ لها ثانية. في الغرب هناك ساحر شهير اسمه (جيمس راندي) تخصص في فضح السحرة الآخرين.. هو يقبل ممارسة السحر كنوع من الفن الراقي الذي لا يزعم صاحبه أنه سحر.. لكنه لا يطيق النصابين الذين يزعمون أنهم سحرة حقا. هؤلاء يعرقلون تقدم المجتمع ويملئون عقول الناس بالخزعبلات، ويمتصون دم الأرامل والأيتام. هكذا قام راندي بفضح الكثيرين من هؤلاء المدعين، وكانت الضربة الكبرى في برنامج تلفزيوني شهير لمعالج روحاني أمريكي فائق الشهرة. لقد طلبت منه امرأة عجوز أن يشفيها من سرطان الرحم، فبدأ المعالج يلعب ألاعيبه المعروفة أمام الكاميرا ثم أعلن انها قد شفيت. هنا تنزع العجوز شعرها المستعار وثيابها فيتضح أنها رجل متنكر من أعوان

راندي!.. كانت هذه ضربة قاصمة ولم يسمع أحد بعدها عن ذلك المعالج الروحاني ثانية. هذه هي طريقة راندي، وقد استعملنا نحن أسلوبا مشابها..

صدر عدد مجلتنا وعلى غلافه صورة النصاب مع مانشيت عملاق يقول (نحن نفضح عدنان الفلكي). وصور للمراسلات بيننا وبينه، مع الصور التي تبين حيلتنا. لقد ابتلع الرجل الطعم كأحمق وفضح نفسه بعنف. نحن كذلك لم نقصر ووجهنا له ضربات عنيفة جدًا لدرجة أنه صار موضوعنا المفضل لعدة أعداد. كان القراء مهتمين به لهذا وصلنا العديد من الخطابات ودار جدل ملتهب على شبكة الإنترنت. لأن الرجل كان قد أوشك على أن يكون ظاهرة في اختراق الحجب فجعلناه ظاهرة في النصب..

لقد كان عملاً جيدًا وأنا فخور به. وبدا أن أعمال الرجل تراجعت جدًا، ثم وجدنا أن الشرطة الفرنسية تحقق معه بصدد بعض الفضائح الأخلاقية.. هذان توءمان لا يفترقان: النصب والفضائح الأخلاقية.. هناك مؤمنات به يائسات يقصدنه وهن مستعدات لأي شيء.. أي شيء من أجل الخلاص. هذا ما يحدث مع الدجالين في الريف عندنا..

دارت العجلة بسرعة.. الرجل لم يتحمل الفشل والفضيحة، من ثم قطع شرايين معصمه في السجن ولم يتمكنوا من إنقاذه. عندما تقرر أن تلعب بالنار فلا تملأ الدنيا صراخا عندما تحترق. لم يكن جلده ثخينا كما ينبغي لأي نصاب، ولم يتحمل أن يفقد كل شيء..

لست نادما على شيء ولو عرفت أنه حي وعاد يمارس نشاطه فلسوف أفعل الشيء ذاته.

مر أسبوع على سماعنا خبر وفاته ونشرنا هذا في حينه، على

إنني تلقيت خطابا باسمي من فرنسا. فتحته مندهشًا لأنني لا أعرف أحدًا هناك. كان الخطاب بالعربية وبخط أنيق جدًا يقول:

-«برجك سوف ينتقم لي!»

لم أفهم المقصود. لكنني عرفت أن الخطاب من (عدنان) طبعًا. برج وفرنسا.. إذن لا يوجد شخص آخر يمكن أن يكتب هذا الكلام الفارغ.

من الواضح أنه كتبه قبل الانتحار وأرسله لي من باريس. وصل الخطاب بعد رحيل صاحبه. بالطبع يعرف الرجل أسماء الذين اشتركوا في هدم أسطورته، ووضع حجر عملاق يسد مجرى المال المتدفق إلى جيبه.

كما توقعت فوجئت أن (ثريا) زميلتي تلقت خطابًا مماثلاً، ورئيس التحرير تلقى واحدًا.. بالواقع تلقى كل واحد منا خطابًا.. لكن كيف ينتقم برجك منك؟

قالت لي (ثريا) مازحة:

-«خذ الحذر.. إن أرواح المنتحرين تكون قلقة وقادرة على إحداث أشياء مادية.. سوف يقتلك برج»

وقال لنا رئيس التحرير:

-«طبعا هو تهديد شخص أدرك أن عالمه يفلت منه. لم يكن بوسعنا عمل شيء، لكن هذا يجعله أقرب إلى الضحية في ذهن القراء، وهذا قد يقلب الآية ونصير نحن الأشرار.. علينا أن نكون أكثر حذرًا في مغامراتنا التالية»

صرف لكل منا مكافأة برغم كل شيء، وقد قررت أن ابتاع لزوجتي هدية لتذكرها بأنني لطيف مجامل إن كانت قد نسيت هذا..

الطريف أن اليوم ٢٤ مارس هو عيد ميلادي، لكني لا أتوقع أن تتذكر زوجتي ذلك.. إذن فلأتذكرها أنا.

ذهبت إلى أحد الصائغين وسألت عن شيء رخص ثمنه وثقل وزنه. شيء يبدو مبهرًا للنساء لكنه ليس كذلك بالنسبة لصائغ. ضحك الرجل طويلاً وقد بدا أنه يسمع هذه الكلمات للمرة الألف، ومد يده يبحث في منضدته ثم أخرج لي (بروش) من الذهب.. لم أفهم الشكل المحفور عليه لكنه بدا متقنا ودقيقا جدًا. أعتقد أنه ذئب يأكل العشب. كان الثمن معقولاً لذا أخذته وأنا أطير فرحا..

كانت (هالة) في المطبخ منهمكة في تقطيع البصل، عندما تسللت وراءها وقمت برفع البروش أمام عينها. نظرت له ثم عادت تقطع البصل وهي تستنشق بقوة كي لا يسيل مخاطها. آه!.. إن ثريا معنا.. ثريا معنا بعنف..

هالة تغار من ثريا.. هالة تعتقد أن بيني وثريا شيئا ما، والسبب أن علاقة العمل بيننا قوية، بينما هي لا تعمل إلا كست بيت. هالة ليست مخطئة تماما.. أنا متعلق بثريا أكثر من اللازم لكن هذا لن يؤدي لشيء عملي.

-«هذه هدية لك.. نلت مكافأة عن موضوع (عدنان) النصاب إياه»

-«أرجو أن تسمح لي بألا أقبلها»

نظرت لقفاها في غل.. إنها تجد متعة جنونية في أن تشعر بالظلم والغبن، وما تقوم به من تقطيع بصل هو نوع من الاستشهاد يشعرها بأنها أفضل بينما أنا مجرد خنزير.

اعتصرت البروش بقبضتي فشعرت بشيء يخترق كفي. خرجت من المطبخ ودخلت الحمام. فتحت قبضتي فوجدتها تنزف دمًا.. إن

الدبوس الخاص بالبروش انفتح واخترق لحم كفي.. لا بأس.. قمت بتطهير الجرح بالسافلون، ثم اتجهت لباب الشقة ففتحته وقلت بصوت عال:

-"سوف أتناول الغداء في الخارج"

ضربة قوية لها أن تعد الطعام عدة ساعات لتأكله وحدها. اتجهت إلى المقهى وطلبت فنجان قهوة وجلست أفكر. فجأة اشعر بأن حرارتي ترتفع.. أريد أن أفرغ معدتي.. أشعر بدوار.. ماذا حدث لي؟.. دقات قلبي تبطيء جدًا لكنها تزداد قوة فأسمعها تتردد في أذني.. ما الذي...؟

كان العرق البارد يغمر جبيني وأنا أسمع القهوجي يسألني من وراء الأبدية:

-"هل أنت بخير يا أستاذ عصام؟"

-"بخير.. بخير"

وكان هذا آخر شيء قلته، لأني أفقت في المستشفى بكامل ثيابي ما عدا الحذاء.. هناك زجاجة محلول معلقة جواري.. أشعر بوهن وتوعك شديدين.. تنميل حاد يغمر نصف وجهي ونصف لساني ونصف جسدي كله. أرفع عيني فأرى (هالة) زوجتي جالسة تنظر لي في قلق.. تتظاهر بالقلق...

تقول لي:

-"لا تخف.. الأطباء يفتشون عن سبب التسمم"

-"أي تسمم؟"

-"تسمم الدم الذي حدث لك.. يقولون إنك حُقنت بشيء ما.."

حقنت؟.. ثم تذكرت فمددت يدي إلى جيب السترة وبحثت.. خرجت يدي بالبروش. هذا هو الشيء الوحيد الذي اخترق جلدي مؤخرًا. ما الذي لوث الدبوس؟.. دققت النظر في البروش أكثر بينما الوهن يجعل الصورة مزدوجة، هذا ليس ذئبا.. الذئاب لا تأكل العشب.. هذا النقش أقرب إلى حمل.. حمل صغير يمد فمه ويلتهم بعض الأعشاب. اليوم ٢٤ مارس عيد ميلادي وهذا يعني أنني من المحظوظين الذين ينتمون لبرج الحمل!

برجك سوف يقتلك.. هو قالها.. فهل لهذا معنى ما؟.. الصدفة لا تحدث بهذه البساطة. معنى هذا أن حملاً سوف يقتلني أو قتلني بالفعل.. ناولت البروش لزوجتي وطلبت منها أن تخبرني بما تراه، فنظرت له للحظة وقالت: هذا حمل يرعى العشب!.. ثم أعادته لي في اشمئزاز.

لو إنني توفيت بسبب هذا الجرح فمن الواجب على الآخرين أن يعرفوا. ربما كان هذا وهما وربما لم يكن، لكن لابد أن يأخذوا الحذر. قلت لزوجتي أن تناولني قلما وورقة..

-"هل تنوي أن تكتب خطابا لثريا هانم؟"

-"أنت تتكلمين بلساني!.."

وجلست في الفراش أحاول ان استعيد وعيي وترابط أفكاري. خذوا الحذر يا رفاق.. يبدو أن لتهديد النصاب نصيبا من الصحة.. البروش كان يمثل حملاً.. وأنا حسبته ذئبا في البداية.. رباه!.. إن وعيي يتسرب بسرعة كأنه الغاز من أنبوب مثقوب.. هل هو الموت؟.. لا.. لا أعتقد هذا.. لكن.. لعابي يجف.. الظلام ينتشر.. يجب أن أكتب بسرعة.. يجب...

من ٢١ يونيو إلى ٢٠ يوليو



اسمي (ثريا).. لا شك أنك تعرفني جيدًا لو كنت من قراء مجلتنا..

لقد كتبت عددًا من التحقيقات الجريئة، وشاركت في أكثر من برنامج تلفزيوني كضيفة وأحيانا خلف الكاميرا كمعدة.

تسألني لماذا أنا حزينة؟.. هناك سببان وأنت تعرف السبب الأول.. لا أجرؤ على قول إنني فقدت حبيبا لكنها الحقيقة. (عصام) كان يحبني ولم تعد جدوى من إنكار هذا.

مشكلة المرأة أنها لا تقابل هؤلاء الرجال المناسبين إلا بعد ما يكونون قد تزوجوا من امرأة غير مناسبة. وهم لا يجدون المرأة المناسبة إلا بعدما يكونون قد أنجبوا. هنا تبرز المشكلة.. زوجة ثانية أم عشيقة أم تنسى الأمر برمته؟.. أنا لا أقبل أن أكون زوجة ثانية ولا عشيقة.. وبالطبع علاقتنا الدائمة في العمل لا تسمح لي بأن أنسى الأمر برمته، لهذا ظللت ألعب على الحبال كلها.. لم أتخل عنه ولم أقترب منه أكثر..

لا شيء مثل الكفاح المشترك يقرب بين الذكر والأنثى، ولا شك أنه لم ينس ليلة من الليالي التي سهرنا فيها ندبج مقالاً أو نعيد صياغة خبر ما، أو ننتظر نتيجة انتخابات أو الحالة الصحية لمحتضر.. ثم ننزل إلى الشارع المظلم البارد الذي ينهمر فيه المطر. نمشي في صمت ونحن نشعر بأننا نذوب ونتحد بالكون ذاته. لابد من أن يوصلني لأن الشوارع خطرة في هذه الساعة. وعندما نفترق يفتح فمه ليتكلم فأمد يدي لأضعها على فمه لأخرسه.. كل ما سيقوله سوف يزيد الأمور تعقيدًا..

نفرح معا ونحزن معا.. ننتشي معا.. نقلق معا.. ماذا ينقصنا كي نتزوج؟

لقد توفي (عصام).. توفي ولم تكن معه سوى زوجته. يقال إن السبب تسمم دم من جرح بدبوس صديء.. نهاية غريبة قاسية. لكن كل شيء يمت لعصام غريب وربما قاس..

كان هذا في الفترة التي تلت قضاءنا على أسطورة النصاب (عدنان).. أنت تعرف تلك القصة وقرأت عنها بالتأكيد. ثم ترك لنا عصام تلك الرسالة الغريبة التي كتبها في المستشفى..

كلام غريب جدًا عن الحمل والأبراج وانتقام (عدنان).. كلام أبسط ما يقال عنه أنه وليد عقل أتلفه تسمم الدم، ولقد أحزنني كثيرًا أن آخر كلمات قالها كانت هلوسة..

تذكرت أنني قلت له على سبيل المزاح:

«خذ الحذر.. إن أرواح المنتحرين تكون قلقة وقادرة على إحداث أشياء مادية.. سوف يقتلك برج»

أنا لم أكن أعبأ بالأبراج طيلة حياتي، وإن كنت أعرف يقينا أن برجي لا يتوافق البتة مع برج عصام!.. هذا مثير للسخرية. برجي هو ذات برج رينجو ستار والأميرة ديانا ونلسون مانديلا وقيصر ورمبرانت!.. هل يعني هذا ميلاً للفن في عروقي؟.. ربما يعني أنني سياسية محنكة.. بالطبع لا أثق لحظة بهذا الهراء، لكني اندمجت فيه عندما كنا نتخلص من هذا العدنان. قمت بهذا مع عصام.. مع الآخرين طبعًا...

في المجلة أقاموا حفل تأبين بسيطا له، وقالوا بعض كلمات الوداع له..

هناك أناس يجدون أنفسهم بشكل غريب في هذه الأحداث المؤسية. كأنها أسعد لحظات حياتهم. أما أنا فكان علي أن أتماسك وألا أبدي لهفة أو انهيارًا أكثر مما يجب علي أن أبدي. فقط أتذكر أن امرأة أخرى هي التي أغمضت عينيه وهي التي رافقته إلى القبر.

فقط دخلت دورة المياه.. تأكدت من أن الباب مغلق ثم انفجرت في بكاء حار طال عدة دقائق، حتى أذبت كل ما على وجهي من مساحيق وصرت أشبه الأراجوز.. كان علي أن أنتظر بعض دقائق حتى أعيد كل شيء لموضعه، وحتى أغلق ياقة الثوب جيدًا حتى لا يلاحظوا شيئًا..

الآن أجلس في بيتي أفكر وأكتب هذه الكلمات..

من الناحية الأسرية أنا مقيمة مع أمي بعد وفاة أبي. أمي مسنة مصابة - كالعادة - بتلك الصفقة التي لا تأتي إلا جملة: ارتفاع الضغط - البدانة - السكر - وهن القلب.. يقولون إنها مرشحة بقوة للرحيل، لكني لا أطيق أن أتصور ما قد يحدث بعدها. ليس لنا أقارب أو هم تخلوا عنا.. فقط أمي العجوز هي مركز حياتي وهي القلب الذي أخرج منه وأعود إليه.. لا تكف عن الكلام عن زواجي، وعن المهنة التي لن تجلب لي الخير أبدًا، لكن أليست الأمهات جميعا يقلن الكلام ذاته؟. في الحقيقة بدأت أعتقد مؤخرًا أنها هي التي ستفتقدني أولاً...

طبعًا أمي لا تعرف أي شيء عن عصام ولو عرفت لجنت، كما أنها لا تعرف أنني أعتبر نفسي أرملة منذ عرفت الخبر..

رئيس التحرير جمعنا وقال لنا: «سوف يمضي كل شيء.. لن يشعر أي قاريء باختلاف حتى لو متّ أنا شخصيًا.. ليس للواحد منا الحق سوى في حفل تأبين وبرواز في المجلة.. هذا هو كل شيء..»

قاسية هي هذه الحياة.. قاسية وغير عادلة.. والأسوأ هو ما وجدته منذ أسبوعين وأنا أستحم و..

أكتب هذه الكلمات وأنا أرى شيئا يتحرك هنالك في الركن..

صرصور؟.. لا أظن.. إنه أكبر من ذلك.. فأر؟.. لا.. الأنثى التي لا تشعر بالفأر فتصرخ وتثب على مقعدها لا تستحق لقب أنثى. إذن هو؟

نهضت في حذر وزحفت على ركبتي إلى أن دنوت منه. كان يتوارى بسرعة تحت الأريكة لكنني تمكنت من رؤية الزبان المرفوع في الهواء، ثم اختفى في الظلام تماماً..

عقرب!.. عقرب في غرفة نومي!

إن وجود العقارب هنا ليس مستحيلاً لأننا على حافة الصحراء، ولنا جارة مرت بموقف مماثل، لكن هذا لم يحدث قط معي أنا. لو أيقظت أمي لملأت الدنيا صراخا وأصيبت بنوبة سكر.. إذن ليس من أحد أستعين به سواي للقضاء على هذه الكارثة.

بحثت عن خف صلب ورحت أفتش تحت المقعد. أزحته تماما لكني لم أجد العقرب تحته. هذا يعقد الأمور لأنني لن أنام وهذا الشيء في غرفتي.

عدت إلى مكتبي ورفعت قدمي إلى المقعد بينما عيناي لا تفارقان أركان الغرفة. هو في موضع ما هنا.. على الأقل هو لن يخرج من الغرفة..

عقرب!.. لماذا عقرب؟.. لماذا الآن بالذات؟

حياة كئيبة قاسية تلك التي أحياها هنا مع أمي. لا أعرف كيف ولا متى نخرج منها، والسيناريو الوحيد الممكن هو أن أتزوج وآتي برجل ابن حلال يعيش معنا.. لكن هناك مشكلة عصام.. كنت أرى رجلاً واحدًا في الكون وهذا الرجل قد مات بتسمم دم. أشعر بأنه قد فر مني بشكل ما.. السيناريو الآخر هو أن أموت، وهي فكرة لم تعد مستبعدة..

ربما أنجح في عالم الصحافة. أعرف هذا يقينا.. هناك اناس كثيرون يحفظون اسمي ويبحثون عن مقالاتي، لكن ما هو أعلى مدى يمكن أن أبلغه؟.. هناك سقف وهذا السقف بعيد جدًا عن السقف الأعلى الذي يكفل لي السعادة.. ما هذا؟.. هل تراه؟.. لقد تحرك شيء هناك..

جريت من جديد كالملسوعة إلى ركن الغرفة المجاور للشرفة لكني لم أر شيئا. عندما تبحث عن عقرب فكل شيء في الغرفة يتحرك كعقرب.. هذه قاعدة..

أعرف أن اللدغة لن تكون مميتة، لكنها سوف تسبب لي ساعات تعسة لعدة أيام.. فقط الأطفال يموتون بلدغات العقارب أما فتاة ناضجة كبيرة مثلي فسوف...

عصام كان من برج الحمل، وقد أنذره عدنان بأن برجه سينتقم له.. ما معنى هذا؟. زوجة عصام تكلمت عن بروش يشبه الحمل أو الذئب كان في يد عصام وقد حاول أن يهديه لها لكنها رفضته. هذا ما قالته لصديق مشترك.. عصام كان يحمل البروش معه في المستشفى.. ربما كان آخر شيء رأته عيناه..

يمكن بشيء من الخيال أن نتصور أن هذا الحمل هو من قتل عصام.. «قتله برجه»..

المذكرة المرتبكة التي تركها لنا تقول هذا، لكن هذا هو السخف بعينه.. لا يجب أن أنجرف وراء هذه الأوهام. أنت فتاة عاقلة ولو كنت اقل عقلاً لقبلت أن تكوني زوجة ثانية.

أرى شيئا يتحرك هناك في الركن قرب رجل الفراش. أنا متأكدة هذه المرة من أنه هو.. لكن لا يجب أن أمشي حافية القدمين في هذه الغرفة.. ربما أدوس ذلك الشيء وعندها.. إن حذائي قريب من المكتب على كل حال.

أمسكت بالمسطرة وانحنيت على مسند المقعد، وبصعوبة رحت أقرب الحذاء مني. أقربه.. سوف أدس قدمي فيه ثم أعاود حملة التفتيش..

حشرت القدم اليمنى، وأوشكت على حشر اليسرى عندما رأيت شيئا يتحرك داخل الحذاء المظلم!.. إنه هو!.. هذا الخبيث تسلل إلى حذائي كعادة كل العقارب في الواقع، بانتظار قدمي العارية كي تتواجد معه في مكان ضيق واحد!.

وأنا كنت سألبس هذا الحذاء على سبيل الوقاية!..

ألقيت الحذاء على الأرض في هستيريا فرأيته يهرع فارًا منه. كانت هذه هي اللحظة المناسبة فلا وقت للذعر الأنثوي. أمسكت بالفردة وهويت بها عليه.. و.. بلوتش ش!.. أكره هذا الصوت البشع..!

لحسن الحظ أنه لا يتلوى كالسحالي أو الأفاعي. لقد انتهى أمره في لحظة!..

في تقزز بحثت عن ورقة ألقيت بالجثة فيها وخرجت إلى الشرفة لأطوح بهذا الشيء خارجها. لم يستحق الموت لكنني لم أستحقه كذلك. فكلانا كان نحسا على الآخر. فقط أنا لم أتسلل إلى حجرته ليلا!.

عقرب في هذا الوقت؟.. لماذا؟. لكن الهدوء قد ساد على كل حال، ويمكنني أن أفكر فيما حل بجسدي.

تقهقرت إلى الغرفة ووقفت أمام المرآة.. ببطء فتحت أزرار منامتي وكشفت عن جذور عنقي، ورحت أتأمل ذلك الانتفاخ. الانتفاخ الذي وجدته منذ أسبوعين وقال لي الأطباء إنه عقد لمفاوية صلبة. قالوا لي إنها مريبة الشكل وإنها توحي بمرض خبيث، لكن لابد من أخذ عينة وبسرعة..

سألتهم في حيرة: هل هو السرطان؟.. هزوا رءوسهم أولاً ثم قالوا: لا نعرف.. لن نعطي رأيا قبل أخذ العينة.. طبعا لم أفعل ذلك حتى هذه اللحظة.

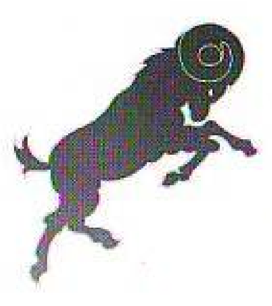
أنا أكره الأبراج وكل هذا الهراء، لكن لو تذكرنا أنني من برج السرطان، فهل يمكن أن يكون برجي قد انتقم مني فعلاً، وتكون هذه العقد هي بداية نهايتي؟.. عندها يكون عدنان قد صدق مرتين..

وأنت؟.. هل حسبت أن العقرب سيقتلني لأنني من برج العقرب؟.. لا تكن أحمق.. أنا مولودة يوم ١٢ يوليو فما دخل العقرب في الموضوع؟...

أنا من برج السرطان.. برج رينجو ستار والأميرة ديانا ونلسون مانديلا وقيصر ورمبرانت.. لو اتضح أن هذه العقد اللمفاوية سرطانية، ولو أنها قتلتني كما رأيت في عيون الأطباء، فإن بوسعك القول أن عدنان أحرز هدفين أكيدين..

لكني - كما قلت لك - لا أصدق هذا الهراء.

من ٢٠ يناير إلى ١٨ فبراير



«عندما يصير القمر في المنزلة السابعة..
وعندما يتوازى المشتري مع المريخ.. عندها
سيهدي السلام الكواكب، ويبحر الحب
بالنجوم..»

سألني (منير) عن سبب شرودي.. قالها على الطريقة الإنجليزية: «بنسان من أجل أفكارك»، فرددت ساهمة:

-«اتصلت بي (ثريا).. إنها مصابة بالسرطان فعلاً.. يبدو أن الوقت تأخر على إجراء جراحة..»

ونظرت إلى جهاز المحمول ساهمة..

يحب منير أن يكون بالفانلة الداخلية مع الشورت وهو على ظهر اليخت الخاص به. لا أذكر أنني رأيته بثيابه الكاملة إلا نادرًا، فإن رأيته بثيابه الكاملة فهو حافي القدمين غالبا.. دعك من أنه يخفي عينيه خلف نظارة سوداء لا ينزعها إلا عندما يقرر استعمال عينيه.. وأنت تعرف متى يستعمل عينيه طبعا..

عاد يسألني:

-«هذا محزن.. إنها صديقتك طبعا؟»

-«زميلتي في الجريدة.. هي بين الصديقة والأخت..»

لم يدر كم أنا صادقة في هذا.. هي حشرية تحملك أعباء لا نهاية لها كالصديقة، وهي مزعجة لا يمكن التخلص منها كالأخت. لم أكن أحب ثريا لكن ليس إلى حد أن أتمنى لها ان تموت بالسرطان طبعا..

رحت أنظر إلى الماء الأزرق الذي يتطاير أمام مقدمة اليخت.. سكين لها شكل المكواة تشق الماء إلى نصفين.. ترتفع المقدمة لعنان السماء حتى أشعر بأنني أطير..

فرويد تكلم عن حلم الطيران، وقال إنه يرمز للاتصال الحميم.. هذا رجل عبقري.. أنا أشعر بأنني بلا مقاومة على الإطلاق لكني أتماسك..

من الصعب ألا تفقد الفتاة وعيها إذا كانت فقيرة مثلي، عندما يهيم بها شاب مثل (منير). لا.. لن أقول (يهيم بها).. هناك تعديل بسيط يقلب الياء إلى تاء لتصير (يهتم بها)..

يهتم بي.. هو يتسلى على الأرجح، ولا أتوقع أن أجده يحملني باليخت إلى المأذون ليدخل عليه مبللاً حافي القدمين يطلب أن يزوجني له. لا.. لست بهذه السذاجة. هو يتسلى قليلاً وأنا كذلك أتسلى..

منير رجل أعمال مثل أبيه. عرفته عندما أجريت لقاء صحفيا مع أبيه وعرفت أنه يمارس عملاً لا أعرف ما هو بالضبط لكنه يجلب مليونا بعدة مكالمات هاتفية.. هناك مضاربات وبيع أسهم وأراض يبتاعها فيرتفع ثمنها بعد دقائق.. ليس هذا كله مشروعا.. الكسب المشروع كالحقيقة مخيب للآمال وبطيء جدًا، بينما المال الحرام كالخيال.. يأتي بسرعة البرق ويأتي بسخاء..

منير يدخل الغرفة.. منير يحييني.. منير ينزع نظارته السوداء.. جزء عار من وجهه بين حاجبيه الكثين ولحيته الكثيفة.. هذه من المرات النادرة التي رأيته فيها بكامل ثيابه. منير يرميني بنظرة من تلك النظرات.. منير يصر على أن يوصلني بسيارته الرياضية التي لم احفظ اسمها برغم محاولاتي.. جرعة عالية جدًا أودت بعقلي وجعلتني أترنح. هذا ليس عدلاً.. الأمر يشبه أن ترى بلطجيا ضخما

كالثور يتسلى بصفع وركل رجل ضئيل في حجم شارلي شابلن. لا فرصة لدى الرجل الضعيف أمام طوفان القوة هذا.. لو سقط على الأرض أو توسل من أجل حياته فلا لوم عليه.. هكذا أدركت أن المباراة غير متكافئة وأنني خسرتها قبل أن تبدأ..

هكذا بدأ كل شيء..

لقد مررت بفترة عصيبة. أعتقد أنني كنت متعلقة بـ(عصام) بشدة.. أعتقد أنه يناسبني تماما، وعلى فكرة أنا مؤمنة بالأبراج تمامًا، وقد قرأت أن برجه هو أنسب برج لبرجي.. برجي الذي هو برج تشارلز ديكنز وريجان وموتسارت ولنكولن.

لكن الأخت الفاضلة (ثريا) تدخل في حياتي وتأخذه مني.. السرطان لا ينسجم مع الحمل أبدًا مهما حاولت، لكنهما لا يؤمنان بالأبراج على كل حال..

عصام متزوج لكن من الواضح أنه متعلق بثريا.. لا شك في هذا...

هذا لا يمكن فهمه.. لو أنني كنت قبيحة كالشيطان أو غبية كالصخرة لفهمت، لكن لا يوجد منطق لهذا على الإطلاق. هكذا بدأت علاقات كثيرة على سبيل الانتقام..

ثم دارت الدورة وجرت مياه كثيرة تحت الجسور.. عصام مات بتسمم دموي لا يفهم أحد سببه، وثريا هانم مصابة بالسرطان.. يبدو أنني أكرر فيلم أمير الانتقام بشكل ما. كل من آذاني أو ضايقني يدفع الثمن.

سوف أتجاهل هذا كله وأنعم بهذه اللحظات مع الثري الأمثل حافي القدمين (منير). هو دعاني إلى هذه النزهة في اليخت الخاص به وقد قبلت.. ليست هذه المرة الأولى.. لقد قمنا بجولة مماثلة من قبل في

البحر الأحمر.. يأتي بالطعام وعشرات من علب البيرة في ثلاجة صغيرة.. كل ما يلزم لصيد السمك.. يضع كل هذا في اليخت.. معه بحار شاب صغير لا يتكلم تقريبا..

هنا يستعيد منير حيويته وعنصره الطبيعي. تشعر أنه كائن ينتمي للبحر وولد فيه، وهنا هو يولد من جديد إذ تنشق الأمواج لتستقبله..

البحر.. الأزرق اللانهائي.. الأمواج.. هل هذه نوارس؟

إنه يقف وراء عجلة القيادة، ويترنم بصوت رخيم عال بأغنية إنجليزية:

-«عندما يصير القمر في المنزلة السابعة.. وعندما يتوازى المشتري مع المريخ.. عندها سيهدي السلام الكواكب، ويبحر الحب بالنجوم..»

سألته في استمتاع عن مصدر هذه الأغنية..

-«هي أغنية من مسرحية (هير)... قديمة جدًا لكن كل من كان في شبابه في السبعينات يعرفها.. عندما يتوازى المشتري مع المريخ يحجب ضوءه الأحمر.. المريخ هو كوكب الحرب (مارس)، لذا فإن اختفاء وجهه يعني السلام..»

-«جميلة جدًا.. برغم أن عشر سنوات كانت تفصلني عن المجيء للعالم وقتها..»

يدور باليخت بين بعض الشعاب المرجانية ويضحك...

من جديد يدق الهاتف.. الشبكة سيئة جدًا لكني قادرة على تلقي بضع كلمات:

-«(مي).. اين أنت؟»

هذا مدير تحريرنا الهمام.. أنا لست في القاهرة يا سيدي.. لكني

كذلك لست في البحر الأحمر أتسلى وأمتحن الأقدار مع شاب ثري وسيم. أنا في الزقازيق عند أسرتي.. هذا الصوت؟.. إن الشبكة سيئة هنا يا سيدي.. نعم.. تحت أمرك؟

-«قصة عدنان الذي فضحناه هذا.. وعد بالانتقام كما تعرفين قبل أن ينتحر.. هل وصلك خطاب منه؟»

قلت في ملل:

-«(برجك سوف ينتقم لي).. لقد أرسل هذه الصيغة للجميع.. كلام غير مفهوم..»

-«نعم.. نعم.. (ضجيج الكتروني.. لم أسمع) محض هراء وهو انتحر لأننا برهنا للناس على أنه كذاب.. لكن يجب ألا ننسى أن لدينا من مات بسبب حلية تشبه الحمل وهو من برج الحمل (لم أسمع).. هناك فتاة من برج السرطان توشك على الموت بالسرطان.. اثنان من فريقنا هلكا في ظروف مريبة بحق.. لقد طلبت من الجميع أن يكونوا حذرين.. هذا سخف بالطبع، لكنني قلق... والقلق يسمح لي بأن أكون سخيفًا بعض الشيء..»

قلت في شيء من الخبث:

-«أنا مولودة في الرابع من فبراير.. لقد مر عيد ميلادي فعلاً منذ شهر أو أكثر.. هل تعرف معنى هذا؟»

منير يمد يده ليريحها على كتفي ثم يداعب بعض خصلات شعري.. أثني عنقي لأتخلص منه كي أتمكن من سماع المكالمة.. يقول المدير:

-«لا أعرف.. لا أذكر تواريخ هذه الأبراج..»

-«معناه إنني من برج الدلو.. كيف تتوقع لبرجي أن يقتلني؟.. هل سيسقط دلو فوق رأسي وأنا أمشي في الشارع؟.. هل سيقوم لص

بإغراق رأسي في دلو؟.. في الحقيقة لا أعتقد أن هذا الخطر ينطبق علي..»

هنا تلاشى صوته تمامًا وصار الاتصال مستحيلاً..

أغلقت الهاتف.. هنا وجدت أن منير ينظر لي في دهشة ثم هتف:

ـ«هل أنت من برج الدلو؟»

ـ«نعم. وأكون سعيدة لو لم تقل دعابة سخيفة ما..»

لسبب ما يعتقد الناس أن الدلو شيء مضحك جدا.. عرفت من هم من برج الثور، وبرغم هذا لم يتلقوا هذا القدر من السخرية..

قال في جدية:

ـ«مصادفة غريبة.. لو كنت أعرف.. ربما زعمت أن هذا اليخت....»

هنا ارتجت الأرض وارتفع اليخت للسماء للحظة.. كان ارتطاما قويا بحق.. وسقطت على الأرض متدحرجة بينما سقط منير فوقي.. لقد ضربنا إحدى هذه الصخور المكونة من الشعاب المرجانية.. ضربناها بقوة عاتية ومن الواضح أن ما حدث لليخت مروع..

الآن صار وضعنا مثيرًا للشفقة.. الطائر البحري الرشيق يسبح كالجثة فوق مياه البحر وهو موشك على الغوص.. أنفي ينزف وركبة منير ليست على ما يرام. البحار الشاب يبدو أنه كسر ساقه..

قال منير وهو يخرج جهاز الهاتف:

ـ«أعتقد أننا نغرق.. وهذا الشيء اللعين كالجثة الهامدة.. هلا جربت جهازك؟»

لكنني كنت أعرف النتيجة.. المحمول لا يعمل أبدًا عندما تتوقف حياتك عليه.

ـ«هل تعرفين السباحة؟»

ـ«لا..»

تعاون هو والبحار الشاب على نفخ قارب نجاة صغير وألقياه في الماء، ثم دعاني إلى النزول فيه معهما.. في الوقت ذاته كان اليخت ينحدر أكثر فلم يبق إلا ثلثه فوق سطح الموج..

سألته وأنا اجلس في القارب الصغير المتأرجح:

ـ«هل من خطط؟»

ـ«لا شيء.. أعتقد أنهم سيفتقدوننا وربما يخرجون للبحث عنا.. أبي سوف يتصرف..»

ثم أردف في شيء من السخرية:

ـ«الغريب أني اعتقدت للحظة أن ركوبك فأل حسن، ما دمت كهذا اليخت من برج الدلو!»

ـ«وما العلاقة؟»

على اليخت الغارق كنت ألمح الشعار والاسم الأجنبي (أكواريوس).. فقال منير باسمًا:

ـ«أكواريوس هو برج الدلو... ألم تسمعيني أغني أغنية برج الدلو منذ دقائق؟.. أنا أتفاءل بها»

هنا شعرت برجفة.. أعتقد أن الغرق وارد أو مؤكد.. لو غرقت الآن وبسبب هذه الحادثة فمعنى هذا أن من قتلني هو.. هو برج الدلو!.. ويكون كلام عدنان.......

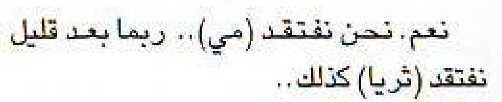
لا.. هذا هراء.. صحيح أن ثلاث ساعات قد مرت.. صحيح أن

الظلام يقترب.. صحيح أن السماء تتلون بالأزرق الداكن بسرعة مخيفة.. صحيح أن الموج يعلو. صحيح أننا محاطون بالشعاب المرجانية.. صحيح أنني أرتجف.. لكن ما زال الغرق بعيدًا جدًا جدًا..

وفي الضوء الواهن سمعت (منير) يدندن محاولاً أن ينسى مخاوفه:

-«عندما يصير القمر في المنزلة السابعة.. وعندما يتوازى المشتري مع المريخ.. عندها سيهدي السلام الكواكب، ويبحر الحب بالنجوم.. وسيكون هذا هو فجر برج الدلو..

برج الدلو..!



نعم. نحن نفتقد (مي).. ربما بعد قليل نفتقد (ثريا) كذلك..

مدير التحرير نادانا إلى غرفته الضيقة الحارة.. صحيح أن الشتاء لم ينته لكن غرفته دائما كالفرن.. قال لنا إن (مي) قد غرقت في البحر. كانت مع أحد رجال الأعمال الشباب. هو نجا طبعا لأن رجال الأعمال لا يموتون أبدًا.. لو سقطت علينا قنبلة هيدروجينية فسوف تنجو حويصلات بكتريا التيتانوس ورجال الأعمال.

أصابنا هذا بالذهول.. لم نعرف أن (مي) ذات مغامرات، كما لم نعرف أنها بارعة إلى هذا الحد.. رجل أعمال؟.. من أين جاءت به؟.. يخت في البحر الأحمر؟.. يا لها من شيطانة صغيرة!.. الأغرب هو أنها قبل وفاتها بساعات زعمت لمدير التحرير أنها تكلمه من الزقازيق.. هو أقسم أنه سمع صوت موج وطيور بحر، لكنه كذب أذنيه. الخلاصة أنه لمح إلى أنه مصدوم مندهش وأنها خدعت الجميع، لكنه برغم هذا يقول في آخر كلامه:

-«دع الخلق للخالق..»

ثم قال إن هذه الوفاة طبيعية.. يعني بأنها طبيعية أنها لا تثير أية أسئلة عن الأبراج فالفتاة كانت من برج الدلو، لكنها غرقت في البحر الأحمر لا في دلو ماء.. لا يمكن أن نربط بين قصتها وقصة عدنان بأي شكل.. من الطبيعي أن يموت بعض الناس أحيانا فلا يمكن أن ننسب للأبراج كل وفاة تحدث..

هنا قال أحد الشباب المشاغبين من المجموعة:

«قلت ما اسم اليخت يا سيدي؟»

نظر مدير التحرير في الأوراق أمامه وقال:

«اسمه (أكواريوس).. يبدو أن هناك قانونا يحتم إطلاق هذا الاسم على كل سفينة أو يخت، مثلما تدعى كل كلبة (توسكا) وكل سيارة قديمة (عزيزة).. إن بادئة (أكوا) هذه لها إيحاء مائي واضح..»

قال الفتى في لهجة ذات معنى:

«أكورايوس معناها (برج الدلو)!»

تبادلنا النظرات.. هذه صدفة بلا شك وإلا لكان معنى هذا أن برج الدلو قتل (مي). الأمر لا يتحمل لغزًا ثالثا ومزيدًا من الحيرة... لكننا برغم كل شيء فتحنا القاموس لنتأكد من أن كلامه دقيق..

اسمي (صفوت).. أنا من الطراز الذي يمكن أن تطلق عليه (شاب مليء بالأحلام)، وثائر صغير امتلأ رأسه بخليط من الأفكار اليسارية والبوهيمية والليبرالية. لكنهم يقولون إنني شديد الكفاءة وبارع حقا.. من المؤسف أن ينتهي هذا كله فجأة..

حتى وقت قريب كنت أؤمن أنه لا وقت للحب أو الزواج لأنني في مرحلة تكوين الذات، وأعرف أنه لا شيء يمكن أن يبدد جهدي الآن مثل الإعجاب بفتاة لمجرد أن لها عينين حالمتين، أو أن أسافر إلى دمياط للبحث عن غرفة نوم مناسبة، وأن أبدد الملاليم التي أحصل عليها في سداد أقساط، بينما أنا أبددها فعلاً في أشياء ليست أكثر نفعا لكنها أكثر إمتاعا..

قال المدير:

«نحن نعرف قصة عدنان النصاب هذا.. ونعرف أنه أرسل خطاب تهديد لكل واحد منا.. ما زلت أعتقد أنها كانت ركلة الجواد

المحتضر الأخيرة، لكن الحقيقة التي يجب ألا ننساها هي أننا نفقد أفراد جيشنا بسرعة..»

قلت في عصبية:

«وهل يعني كلامك هذا أن الأبراج حقيقة؟»

«لا.. ما زلت موقنا بمنطقي وهو لا يتزحزح.. نحن رأينا وعرفنا أن الرجل نصاب فعلاً.. لا شك في هذا.. لكنني ما زلت أفكر في احتمال أن تطارد روح المنتحر أولئك الذين جعلوه يفعل ذلك.. ثمة انتقام مروع آت من ما وراء عالمنا الذي نعرفه، وهذا الانتقام يصل إليك حيثما كنت.. لا تنس أن معظم هؤلاء يتصلون بالشياطين..»

هتفت (ياسمين) زميلتنا الشابة:

«أرى أننا بدأنا نتكلم بلغته ومنطقه..»

«الأحداث لا تترك لي منطقا آخر..»

رحت أفكر في الأمر.. لو صحت هذه النبوءة فأنا سوف ألقى نهايتي على يد ثور.. أنا من برج الثور الذي ينتمي له فرويد ودافينشي وهتلر.. بعضهم عباقرة لكن لا تنكر أن فيهم لمسة من غرابة الأطوار وربما الخبال..

ألقى نهايتي على يدي ثور أو حافريه.. ثور هائج يطاردني ويمزقني. لكن ما هي فرصة أن يلقى المرء ثورًا في قلب القاهرة؟.. أنا لم أر في حياتي ثورًا إلا في التلفزيون. هناك تلك المهرجانات البرتغالية التي يركض فيها الثور حرًا في الشارع ويطأ الناس، لكن لو فعلوها في مصر لقتلت الميكروباصات الثيران بعد ثلاث دقائق. لا تنس أن المجازات تلعب دورًا هنا.. ربما سيارة عليها رسم كبير لثور؟.. أو رجل ضخم كالثور؟.. ربما قلادة عليها ثور.. لكن من رأى قلادة عليها ثور؟... هناك بطل قصص مصورة اسمه (ثور) وهناك

رحالة نرويجي اسمه (ثور هايردال) لكن الفرصة شبه معدومة أن يقرر النزول إلى مصر، وأقابله وأستفزه لدرجة أن يقتلني..

لا.. أنا لست من زبائن هذه القصة، ولن أموت بهذه الطريقة السخيفة.. سأموت بطريقة أخرى تماما..

قالت لي (ياسمين) باسمة:

-«خذ الحذر من أي ثور تقابله»

قلت في مرارة:

«وأنت خذي الحذر من أية عذراء!»

هي نفسها عذراء، ولا أدري كيف يمكنها أن تتفادى أية عذراء أخرى.. يحتاج هذا الذي يطاردنا إلى قدر هائل من الخيال كي يدبر لنا ميتات مناسبة..

الشقة التي اسكن فيها شقة مفروشة في (الزيتون). أتقاسمها مع ثلاثة آخرين ليسوا من اصدقائي ولا من عالمي، لكننا نتحمل بعضنا ومن حسن الحظ أنه لا يتواجد سوى واحد منا على الأرجح في أي وقت.

هناك طالب وهناك موظف وهناك مهندس كمبيوتر.. كلنا من الأقاليم وعلاقاتنا سطحية جدًا لا تتجاوز تحية الصباح والمساء. أحيانا يحضر احدنا من البلد بعض المأكولات فيدعو الآخرين إلى الطعام معه. طبعا هناك مكتبتان هائلتان إحداهما مليئة بالكتب الدينية التي كتب على غلافها بخط مذهب، وهي تخص الموظف، بينما مكتبتي أنا تضم مؤلفات لـ (ساراماغو) و(إبراهيم اصلان) و(أمل دنقل) و(صلاح جاهين) وبعض الكتب السياسية.. نتبادل الكتب لكن من الواضح أن كتبي لا تروق له كثيرًا.. إنه يقرؤها كي يُصدم وكي يكتشف أنه يقرأ الكتب الصحيحة..

أنا وحدي في الشقة الآن.. فرصة ممتازة إذن..

جلست إلى منضدة وأشعلت لفافة تبغ وبدأت أكتب هذه الرسالة..

ما لا يعرفه الناس.. ما لا يعرفه الجميع هو أنني كنت أحب (مي) وكانت تزعم أنها تحبني. من أجلها غيرت كل خططي.. من أجلها فكرت في الزواج.. أن أقنع أبي ببيع قطعة الأرض الصغيرة التي نملكها كي أؤثث بيتا صغيرًا..

من أجل مي تصالحت مع العالم، لكنها رحلت.. وليتها رحلت في ظروف تترك لي ذكرى حزينة رقيقة دامعة عنها، لكنها رحلت معلنة بوضوح أنها كانت تخدعني.. رحيلها نوع من صيحة (عليك واحد) التي كنا نقولها لبعض ونحن أطفال.. يوم رحيلها طلبتها عدة مرات حتى أفنيت رصيد الهاتف، وفي كل مرة تتكلم على أنها في بلدها مع أفراد أسرتها ...

الآن فقط أرى حياتي فأدرك أنها صحراء قاحلة. هل حسبت يا أحمق أنك ستصير يوما (هيكل) أو (مصطفى أمين) لمجرد أنك تريد ذلك؟. إن هي إلا تلك المقالات القصيرة التي لا تنال عليها أجرًا ذا قيمة، والتي لا تحدث أثرًا يذكر ولا يتذكرها أحد.. أمامك عشرات الأعوام بهذه الطريقة ثم تموت..

الشقة قذرة عطنة الرائحة.. هل تصورت أن تخرج من هذه الشقة إلى العالم الواسع؟... أن يكون لك قصر وحمام سباحة كما نرى الصحفيين في السينما؟.. هل تصورت أن تذهب إلى موناكو لتغطي حفل تنصيب ولي العهد الجديد؟..

كنت مستعدًا للرحيل، لكني سوف ارحل بطريقة يذكرها الجميع.. إن العدد الأخير من مجلتنا على غلافه صورة كبيرة لثور اسود يهاجم مصارع ثيران. أخرجت علبة الأقراص المنومة وسكبت ما فيها على الغلاف.. ثم بدأت أنتقي الأقراص مع جرعات قصيرة من الماء...

سوف تكون دعابة قاسية أخيرة. في المجلة سوف يعرفون أنني

قتلت نفسي وأنني كنت أضع الأقراص على صورة ثور عملاقة!.. سوف يجن جنونهم. هذا سيبدو لهم دليلاً لا شك فيه على أن نبوءة عدنان تتحقق للمرة الرابعة.. لقد قتله ثور!.. بينما أنا وضعت هذه الصورة عمدًا على سبيل لفت الأنظار لآخر مرة..

لن يعود من معي في الشقة قبل ساعتين.. أعتقد أن هذا الوقت سيكون كافيا كي أرحل..

قرص عاشر.. قرص عشرون.. إن وعيي قد بدأ يتبدد.. أعتقد أن الامتصاص بدأ.. في هذه الحالة العقلية المضطربة أقول لنفسي: ربما نبوءة عدنان صحيحة.. في النهاية هناك ثور فعلاً يصاحب موتي.. سواء تعمدت هذا أو فعلته عن غير قصد فالنتيجة واحدة. ربما هو من زين لي موضوع الثور هذا..

ثمة تفسير آخر للأمور: عندما أموت سيكون برج الثور هو الذي قتلني فعلاً.. ألست أنا من برج الثور؟... ألست أنا قاتلي؟..

عندما أنتحر أريد أن يحدث هذا لأنني أردته، وليس لأن هناك من أوحى به لعقلي الباطن..

مصيدة حمقاء أنزلق لها بسرعة.. ربما أنا من أوقع نفسه فيها وربما هو عدنان.. لكني فعلاً راغب في التراجع.. إن الطب قادر على إنقاذي.. كثيرون ينجون من ورطة كهذه خاصة أن الوقت ما زال مبكرًا جدًا..

بيد منملة لا تشعر بحثت عن الهاتف في جيبي.. طلبت رقم صديق لي.. تكفي كلمة واحدة تقول له إنني....

صوت أنثوي مهذب من الهاتف يردد: «نرجو إعادة تعبئة رصيدكم. رصيدكم لا يسمح بإجراء هذه المكالمة!»

من ٢٢ أغسطس إلى ٢٢ سبتمبر



اسمي (ياسمين).. لابد أنك تعرفني..

لقد اجتمعنا في غرفة مدير التحرير، وقد ازددنا عصبية. وفاة (مي) و(صفوت) تخيم على جو الاجتماع وحقيقة أننا فقدنا أربعة من جيشنا المحدود تثير الهلع في النفوس.

للمرة الأولى أدركنا أننا كنا اثني عشر واحدًا ممن ساهموا في فضح ذلك المدعي (عدنان). هناك أربعة هلكوا في ظروف غريبة.. بقي ثمانية منا..

قال أحد الفتية:

-«(مي) لا علاقة لوفاتها ببرج الدلو.. هي علاقة مفتعلة بعيدة. لربما قال أحدكم كذلك إنه كان هناك دلو على ظهر اليخت الغارق..»

قال مدير التحرير في صرامة وهو يشعل لفافة تبغ:

-«اليخت اسمه (أكواريوس) من بين الأسماء كلها»

-«أنت بنفسك قلت إن اسم كل يخت أو باخرة هو أكواريوس.. الاسم شائع جدًا»

-«والذي انتحر ووضع الأقراص على ورقة عليها صورة ثور.. ؟»

-«هذه ليست صورة ثور.. هذا غلاف مجلتنا.. لقد كان عنده واستعمله بالصدفة..»

قال مدير التحرير وهو ينفث سحابة دخان كثيفة:

-«نحن ننسى ثريا التي تحتضر في المستشفى الآن.. ننسى وفاة (عصام).. إن الأمر واضح جدًا وحتى العميان يمكنهم أن يروه..»

ثم تصفح بعض الأوراق أمامه وقال:

-«حتى القراء لاحظوه.. هذه خطابات عديدة تتساءل.. منذ أسبوعين والمجلة لا تخلو من أخبار قتلانا.. لو استمررنا بهذا المعدل لهلكنا خلال أسبوعين آخرين..»

قلت أنا ضاحكة:

-«بل ستة أسابيع بقي منها أربعة!... هذه معادلة رياضية بسيطة..!»

قال في غيظ:

-«أنت رائقة البال يا (ياسمين).. أنا لا أمزح.. لقد حكيت القصة لرجال الشرطة فضحكوا كثيرًا جدًا.. لم يصدق أحد حرفا.. طبعا لن يصدقوا ـ وسط كل هذه المشاكل على كاهلهم ـ قصة رعب لطيفة عن أبراج تقتل الناس..»

ثم جمع أوراقه وقال:

-«أنا من مواليد برج القوس.. لا أعتقد أن الفرصة متاحة لي كي أموت بقوس.. لكني أطالبكم بالحذر.. يمكن بسهولة تخيل كيف يمكن أن يموت برج العقرب أو الأسد..»

قالت مروة في فخر:

-«أنا من برج الأسد...!»

-«طبعا لا أنصحك بالذهاب إلى السيرك أو حديقة الحيوان إلى أن نفهم ما نحن فيه.. والآن تفرقوا..»

نهضنا جميعا وخطرت لي فكرة لم نلحظها من قبل.. من العجيب أن أبراجنا تختلف.. فعلاً نحن نمثل الأبراج جميعا فلا يتكرر برجان.. هذا يعطي إمكانات ممتازة..

أنا من البرج الذي ينتمي له عالم الفسيولوجي الأشهر بافلوف والأديب تولستوي وصوفيا لورين.. والأسوأ أنه برج مايكل جاكسون..

أنا أنتمي لبرج العذراء..

لكن كيف يمكن لعذراء أن تقتلني؟

أنا من برج العذراء، وأنا كذلك عذراء.. ربما أنتحر كما فعل صفوت وبذلك أكون قد هلكت على يد عذراء، لكن لا نية لي في هذا العمل الأخرق، ربما على سبيل تحدي (عدنان) هذا لا أكثر.

أنا عذراء.. هذا خبر طيب للمحافظين ودعاة الفضيلة، لكنه ليس خبرًا طيبا لفتاة على حافة الثلاثين مثلي. لا أعرف السبب في أن أحدًا لم يطلب يدي بعد.. لا يجرؤ أحد على قول إنني قبيحة.. لا أجرؤ على قول ذلك، لكنها الحقيقة التي تطالعني في المرآة دوما. لست مسخا مثل ميدوسا لكني كذلك لست بالضبط نسخة من (حلا شيحة). لكن القبيحات يتزوجن على كل حال.. ليست هذه هي المشكلة.. ربما هو الفقر؟.. لا أدري.. إن الجورب الممزق يكفي لتطيير أي عريس محتمل. لكن أمي تؤكد أن السبب هو لساني السليط وحدة طبعي، وحرصي على عمل مشاكل حيثما ذهبت..

يقولون إن هذا التأخير طبيعي لأن سن الزواج للفتاة القاهرية صار خمسا وثلاثين سنة.. جميل جدًا هذا الكلام بالمتوسطات، لكنه يذكرني بخبير الإحصاء الذي يضع قدمه في وعاء به ماء مثلج وقدمه الأخرى في وعاء به ماء مغلي، ويقول إن متوسط الحرارة معتدل. لماذا يجب أن أكون أنا عند طرف منحنى الجرس؟.. لماذا لا أرى من حولي واحدة تجاوزت السابعة والعشرين ولم تخطب أو تتزوج؟.. مهما عم البلاء تبقى حقيقة أنه يصيبك أنت هي الأكثر مرارة..

أنا أسكن في شبرا.. أصعد في درج بيتنا منهكة تعسة، هنا تستوقفني جارتنا المسيحية (إيريني). إنها من سني وهي تريد أن تريني شيئا في الشقة.. لابد أنني أعرف ما هو لأنني صحفية والصحفيات يعرفن كل شيء كما تقول.. إنها مذعورة قلقة...

أدخل شقتها المليئة بأيقونات العذراء وصور المسيح. تركع على ركبتيها جوار خزانة زجاجية صغيرة لتفحص شيئا على الأرض، وتطلب مني أن أفعل مثلها..

هنا أرفع رأسي لأعلى.. تمثال السيدة العذراء البرونزي موضوع فوق الخزانة.. فوق رأسي بالضبط.. يمكنني تخيل ما سيحدث.. سوف أنحني عندها يسقط التمثال ليهشم رأسي.. طاخ!.. وسوف يجتمعون غدًا في المجلة لمناقشة هذا اللغز.. تمثال العذراء قتل (ياسمين) فهل هي مصادفة؟

-«لا يا إيريني.. لن أنحني.. قولي لي ما هنالك..»

تمد يدها وتضع تلك الشرنقة الصغيرة على راحتي..

-«هذه الشرنقة.. هناك عشرات منها تحت الخزانة.. ثمة دودة غامضة كونت هذه الشرانق وقد وجدتها اليوم فقط. هل عندك فكرة؟»

أتأمل الشرنقة وأنا واقفة.. إنها تهتز ويبدو أن كائنا يحاول أن يثقبها ليخرج. فما هو؟...

لحظة.. أنا أعرف أن اليرقة تنسج الشرنقة حول نفسها لتصير.. لتصير.. لتصير عذراء!.. كل طالب مدرسة يعرف هذا... هذا الذي تحتويه الشرنقة هو عذراء تلك الحشرة المجهولة التي قد تكون خطيرة.. بل هي خطيرة...

ألقي بالشرنقة على الأرض وأصيح:

-«لا أعرف ما هي يا إيريني.. صدقيني..!.. ربما تكون مؤذية..»

-«خطر لي هذا لذا طلبت رأيك...»

-«نصيحة.. تخلصي من هذه الشرانق فورًا.. ربما كان عليك أن تحرقيها!»

وقبل أن تكمل كلامها كنت قد غادرت الشقة.. أصعد درجات السلم ملهوفة. لقد نجوت من موت أكيد..

هنا ينفتح باب جارتنا (عزة)... إنها في الثلاثين وهي متزوجة لم تنجب بعد. تقول إنها تريد أن تكلمني في شيء.. فيما بعد يا عزة. أنا عائدة من العمل ومرهقة.. مشكلة هذه البناية أنك لا يمكن أن تصعد الدرج من دون أن يسمعك الجميع. لكن عزة متوترة.. تصر على أن أمنحها بضع دقائق..

(عزة) تهوى الفنانين لذا تعلق صورًا عملاقة ذات إطار لعدد هائل منهم.. في كل مكان تجد صورًا لمحمد منير وعمرو دياب وسيلين ديون ومادونا وأنغام.. تقول إن هذه سلواها الوحيدة ما دامت حرمت من الأطفال..

تجلس أمام التلفزيون وتواصل تقشير الكوسة التي كانت منهمكة فيها عندما سمعت صوت خطواتي. يدها ترتجف على السكين.. يدها تتقلص.. تقول لي:

-«أنا مصممة على الطلاق..»

-«منذ عرفتك وأنت مصممة على الطلاق..»

يسيل الدمع من عينها فيخيل لي للحظة أنها تقشر بعض البصل. ثم تقول:

-«السر الذي لا تعرفينه يا ياسمين هو أنني لم أنجب لسبب بسيط جدًا.. أنا ما زلت عذراء!»

أنظر لها في دهشة ورعب فتقول:

-«نعم.. أهلي لا يعرفون بهذا وكذلك لم أخبر به أحدًا.. أنا عذراء بعد خمس سنوات من الزواج.. ظل يؤكد لي أنه يتردد على الأطباء وأنه سيشفى ثم عرفت أنه لا أمل.. أنا لن أنتظر أكثر.. سوف اطلب الطلاق فإن أبى لطلبت رأي لجنة طبية. سوف أفضحه إذا لزم الأمر.. إنني شابة حسناء و..»

(ومن الحرام أن أظل مثلك).. هذا ما لم تقله طبعا لكنني أكملت العبارة في ذهني..

المشكلة أن عزة تتوتر.. نظرة جنون في عينيها... يدها تتقلص على السكين.. إنها على حافة الانهيار التام. عزة عذراء إذن!.. أنا أنتظر الموت على يد عذراء.. فهل من موقف مناسب أكثر من هذا وحدي في شقتها وسكين في يدها وجنون في عينيها؟

نجوت من سقوط تمثال العذراء على راسي.. نجوت من تلك الحشرة التي في طور العذراء والتي لا أعرف ما هي.. هل أنجو من العذراء التي أمامي؟

أسألها وأنا أرتجف:

-«أين زوجك؟»

-«هذا الرجل الذي ليس رجلاً على الإطلاق؟»

هنا ينفتح الباب ويدخل زوجها.. لقد كان يسمع المحادثة من البداية.. لم أره من قبل أقرب إلى الثور الهائج منه الآن. قميصه مفتوح ونظرة مجنونة في عينيه. اللعاب يسيل من فمه وهو يصيح:

-«إذن أنت لا تكفين عن فضحي في كل مكان أيتها القذرة!»

تقول هي في ثبات من يرغب في بلوغ الأمر آخر مدى له:

-«أنت لم تر الفضيحة بعد!»

و تعتصر السكين أكثر.

-«أتركي السكين يا عزة!»

لكن النظرة المجنونة في عينيها لا تزول.. وهو أكثر جنونا.. يبحث حوله عن شيء ثقيل فلا يجد إلا إحدى الصور ينزعها من على الجدار.. صورة ثقيلة ذات إطار محترم.. يرفع ذراعيه فوق رأسه ويقذفها بها...

الصورة تطير نحونا.. (عزة) تنحني في الوقت المناسب لكن الصورة تواصل الطيران نحوي...

فقط لدي من الوقت ما يسمح بأن أدرك أنها صورة المطربة الأمريكية (مادونا)...

لدي كذلك وقت كاف كي أتذكر...

إن مادونا في الثقافة الغربية معناها (العذراء)....

من ٢٣ نوفمبر إلى ٢٠ ديسمبر



فيما يتعلق بي الأمر صعب فعلاً..

يجب على تلك الشيـاطين التي تحـرك اللعنة أن تجد لي قوسا.. أنا من برج القوس الذي ينتمي له بيتهوفن وديزني وسبيلبرج.. يبدو أنه برج العباقرة، والأهم أنه برج صعب القتل جدًا..

أنا (رأفت) مـدير تحـرير هذه المجلة، ومن مـاتوا هم رجـالي.. لا أعـرف إن كانت قـضـيـة عـدنان هي السـبب أم لا، لكن الارتبـاط بين الحدثين قوي جدًا والمصادفات لا تحدث بهذه السهولة. برج السرطان لا يموت في حـادث سـيارة لكن يموت بالسـرطان.. برج الدلو يموت في يخت اسمه (برج الدلو)... الخ..

لقد غادرت المجلة بعد اجتماعي بهؤلاء الشباب وقد أنذرتهم، لكني أعرف يقينا أنني سـأسمع خبر وفاة أحدهم خلال أيام.. احدهم لكن ليس أنا.. والسبب هو أنني أكثر منهم حذرًا. خبراء المرور في الخارج يقولون إن الشباب أكثر براعة في القيادة وانعكاساتهم أسرع، لكنهم لا يقدرون الخطر. بينما الكهول أبطأ في كل شيء لكنهم يستشعرون الخطر قبل حدوثه بفترة كافية.. لهذا تقع معهم الحوادث بدرجة أقل.

أنا كهل في الخامسة والأربعين، وأعرف الخطر جيدًا عندما أراه..

قوس؟.. من أين يأتون بقوس؟..

سيكون علي أن أتجنب أي مكان يمارسون فيه لعبة الرماية.. لا أنزل للشـارع لو كان هناك قوس قزح.. برغم أن تلوث الجو جعل هذه الظاهرة مستحيلة الحدوث فلم أرها منذ كنت في سن التاسـعة. لا

يوجد قوس نصر أعبر تحته فينهار فوقي.. لا أعرف اشخاصا لديهم عيب خلقي في أقواس القدم. ولو قابلت أحدهم فلا أعرف كيف ستكون نهايتي معه..

لا تنس أن هناك ألعابا لغوية مجازية لا بأس بها.. علي أن أتحاشى كل ما يحوي اسمه كلمة arcus أو.. Arc

ماذا يريد هذا المجنون (عدنان)؟.. هو يعرف أنه كذاب وأننا كنا على حق عندما فضحناه.. لا أطيق هؤلاء الأشخاص المدللين الذين يرفضون دفع فاتورة خطاياهم. أنا مجرم لكن الويل لمن يحاسبني على ذلك.. أنا أقبل الانتقام فقط عندما يأتي من أشخاص أبرياء ظلموا بشكل واضح..

أنا كهل في الخامسة والأربعين وأعرف الخطر..

لكني كذلك كهل يملك قلبا ينبض، والحقيقة المروعة هي أن المرأة لم توجد في حياتي حتى شهرين مضيا..

اسمها (درية).. وهي في الأربعين.. أرملة جميلة بحق حتى إنني لا أفهم كيف مات ذلك الأحمق وتركها. وهي متعلقة بي.. عندها أنظر إلى المستقبل فأراه جافا خاليا من متعة البيت والأولاد.. المزيد من الأحداث والتحقيقات الصحفية.. انتصارات لن تظفر بجائزة بولتزر على كل حال.. وجوه تأتي وتذهب.. تروح وتجيء.. عندها أدرك أني بحاجة إلى أنثى.. إلى زوجة..

(درية) ملتهبة العواطف، وتحمل جموح مراهقة في السادسة عشرة من العمر. تمطرني برسائل البريد الالكتروني.. تمطرني بالشعر.. ترسل لي أزهارًا من مجهول..

تصور أنا الكهل البدين أتلقى أزهارًا!.. فلو تركت نفسي لنفسي لصنعت منها مربى لكن التهام الأزهار يبدو لي عملاً حيوانيا..

نعم أنا كهل بدين.. والسبب شرهي في الطعام. لو كانت هناك صفة دقيقة في صفات برج القوس التي يكتبونها فهي العناد والشره في الطعام..

عدت للبيت لأجد أن درية أرسلت لي هدية مغلفة، ومعها بطاقة رقيقة تقول أشياء أرق.. لم استطع القراءة بوضوح بسبب المصباح اللعين الذي يتراقص ضوؤه. مددت يدي وفتحت الهدية فوجدت أن بداخلها شيئا ملفوفا أقرب إلى تمثال.

رحت أعالج الربطات نافد الصبر..

هنا وجدت أنني أحملق في تمثال جميل جدًا لكيوبيد إله الحب الطفل عند الإغريق. يقف على قاعدة ويصوب قوسه برشاقة.. التمثال من البرونز والقوس والسهم صنعا من مادة براقة جميلة..

(إيروس).. (كيوبيد) الذي يطلق سهما ذهبيا فيسكرك الحب، أو يطلق سهما من رصاص فيعميك المقت..

هدية جميلة فعلاً.. من الواضح أنها قررت أن موعد الزواج قد اقترب.. هن اللاتي يقررن ونحن نتظاهر بأننا نملك إرادة.. لكني مع درية لا أرفض أن أكون تابعا أبله.. و..

كيوبيد.. وقوس !!!!

وثبت كالملسوع مترًا في الهواء.. لماذا الآن؟.. لماذا أنا بالذات؟.. الأمر واضح. هذه هي اللعبة التالية. هذا السهم مسموم أو يحمل جراثيم خطرة تسبب تلوث الدم كما حدث مع (عصام)..

من أدراني أن التمثال كله ليس ملغما؟

أنا اثق بدرية لكن لا أثق في (عدنان)، واعتقادي أننا جميعا قطع

شطرنج تتحرك على رقعة اللعنة النهائية.. فقط أعرف يقينا أن هذا الشيء لن يبقى في بيتي..

كان ضوء المصباح يتراقص بلا انقطاع مما جعل التمثال يبدو حيا..

قمت بلف الشيء بحذر حتى لا ألمسه، ثم دسسته في علبته.. وغادرت البيت..

عبرت الشارع شارد الذهن فلم أفطن إلا وكشافات ساطعة تعمي عيني مع صوت فرملة عال جدًا.. وثبت إلى الرصيف على حين سمعت سبابا أستحقه من السائق..

كنت شارد الذهن فعلاً.. من السهل أن أموت بهذه الطريقة ولسوف يكون تمثال القوس هو سبب وفاتي.. لن يتحدث أحد عن حماقتي..

يجب أن أكون حذرًا..

أمشي في الشارع في الظلام في هذه الساعة المتأخرة. أتجه إلى كورنيش النيل.. أنظر حولي كي أتأكد أنه لا أحد هنالك.. أرفع يدي وأطوح بالهدية اللعينة إلى أبعد مدى ممكن.. أنتظر لحظة قبل سماع صوت (طش)..

لقد ذهبت الهدية ولن تعود..

التفتت لأبتعد عندما وجدت أنني أقف أمام رجلين لا يوحي منظرهما بالثقة.. متى جاءا ومن أين؟.. يلوح أحدهما في وجهي بشيء أدرك على الفور أنه مطواة قرن غزال..

-«النقود والمحمول.. بسرعة!»

الصوت الثقيل الغليظ الموحي بالبرشام.. لا شك في هذا..

هذا سطو مسلح.. (تثبيت) كما يسميه الشباب بلغة اليوم. طبعا لابد من أن استسلم وأعطيهما ما يريدان، لكن من قال لي إن هذا كل شيء؟..

المحمول عليه أرقام مهمة جدًا.. لكن لا مفر..

أمد يدي في جيبي وأناولهما ما أرادا..

لكنهما لم يكتفيا كما هو واضح.. فجأة أمسك أحدهما بياقة سترتي ورفع المطواة ليهوي بها.. سأموت هنا ولسوف يقول الزملاء: على الأقل لم يمت هذا بسبب قوس.. هم لا يفهمون.. لقد لاقيت حتفي بسبب الخلاص من قوس..

لكن الضربة لم تهو لأنني سمعت من يصيح:

-«توقفا!»

رفعت رأسي لأجد سيارة الدورية تقترب بأضوائها المميزة، وبابها ينفتح ليثب منه رجل شرطة ويركض نحونا.. بالطبع لم ينتظر الرجلان أكثر وانطلقا يركضان بما سرقاه..

-«هل أنت بخير؟»

سألني الضابط الشاب الذي ترجل من السيارة فهززت رأسي. يهزني الشعور بأن ربع ثانية كان يفصلني عن الموت أو الرقاد في العناية المركزة للمستشفى..

-«أنت لا تبدو على ما يرام.. أين تسكن؟»

وساعدني على ركوب السيارة..

إن للحب ضرائب غريبة على كل حال. هدية السيدة (درية) كادت تكلفني حياتي مرتين..

في النهاية وصلت إلى أول شارعنا فشكرتهم بشدة.. أعتقد أنهم سيجدون الرجلين ولسوف يعود لي المحمول. على الأقل قد تخلصت من التمثال اللعين..

كان الكهربائي الذي يقع محله عند أول شارعنا لم يغلق أبوابه بعد، فابتعت منه مصباحا بدل ذلك التالف في شقتي.. لقد ابتعت منه المصباح الأول وهو من نوع غريب غير معتاد، وبالتالي ربطت نفسي به للأبد..

-«هل تريد من يبدله لك؟»

-«لا شكرًا.. لو لم نستطع القيام بتبديل مصباح لما استحققنا أن نكون رجالاً!»

في شقتي أحضرت السلم الصغير وتسلقت عليه.. مددت يدي وبدأت أفك المصباح القديم. غريب هذا.. لا يبدو تالفا لكن هناك أسلاكا عارية كأن فأرا قد قرضها.. يجب أن أكون حذرًا.. إن المفتاح مضاء لكنني اكره أن أنزل السلم مرة أخرى.. سوف أبدل المصباح في حذر دون أن ألمس شيئا..

ها هو ذا المصباح الجديد.. هل هو مشروخ؟.. يخيل لي هذا.. هل جربه الكهربائي لي؟.. لا.. كلانا نسي ذلك.. لكن لا مشكلة.. لو كان تالفا فلسوف أعيده له قبل أن يغلق أبوابه..

مشكلة أن تعيش وحدك أنك لا تجد شخصا يناولك المصباح الجديد وأنت معلق على السلم!

هذا الطراز من المصابيح غريب فعلاً.. لقد شرح لي الكهربائي أنه نوع مستورد جديد شبيه بنوع قديم من المصابيح كان يدعى (مصباح القوس الكهربي). مصباح القوس الكهربي كان يعطي وهجا هائلاً

وكان يستعمل في آلات العرض السينمائي القديمة، ويعتمد على فارق الجهد بين قطبين.

على الأقل أنا أعرف يقينا أنه سريع التلف..

قوس كهربي أو قوس غير كهربي.. سوف أستبدله في جميع الأحوال..

فقط لأتماسك جيدًا وأدخل هذا الطرف في هذه الفتـ......

من ٢١ مايو إلى ٢٠ يونيو



لا أثق في الأبراج وأرى أنه من السخف أن نفترض أننا متشابهون لهذه الدرجة.. أعرف ألف واحد من برج الميزان مثلاً، لكن أحدهم لا يشبه الآخر في شيء..

لكن هذه القاعدة - قاعدة أن الأبراج كلام فارغ - يتم خرقها بشدة مع برجي.. برج التقلب والهوائية والأفكار المجنونة التي تصحو صباحا لتجدها سخيفة.. برج الطموحات التي لا تنتهي وأمراض القلب وداء السكري والتوتر الدائم.. لا يمكن إلا أن تجدهم متشابهين..

(البرج اللي انت في مواليده، مواليده خلاص عزلوا منه).. هذه الكلمات الطريفة كانت تقال في المقدمة الغنائية لمسلسل (برج الحظ) الذي اشتهر باسم (شرارة). نعم.. لو كان هذا بوسعي لطلبت أن أنقل نفسي لبرج آخر..

هذا هو برج كنيدي ومارلين مونرو.. كانا حبيبين كما يقال، ومن الواضح أن أتباع هذا البرج ينجذبون بشدة لبعضهم برغم كلام الفلكيين..

اسمي (لمياء).. أعتقد أنك شرفت بلقاء ثريا ومي وياسمين ورأفت وعصام وصفوت.. كلهم - باستثناء (رأفت) - من الصحفيين الشباب الذين كانوا يمثلون دينامو هذه المجلة، وإنها لخسارة فادحة..

لقد عرفنا بخبر وفاة (ياسمين) و(رأفت) في يوم واحد عندما كنا جالسين مساء يوم الثلاثاء نضع الخطط، نتساءل عن سبب تأخر مدير التحرير الهمام عن الظهور خاصة ورقم هاتفه لا يرد..

جاءت الأخبار في العاشرة مساء أن (ياسمين) توفيت في المستشفى.. مشادة مجنونة بين جارتها وزوجها الذي فقد صوابه فقذف زوجته بلوحة ثقيلة ارتطمت برأس ياسمين وهشمتها، وهو تطبيق حرفي لمقولة (ما ينوب المخلص...) أو (يا داخل بين البصلة وقشرتها...).. أما جار رأفت الذي يملك نسخة من مفتاح شقته فقد فتح الشقة ليجد رأفت ميتا.. لقد صرعته الصدمة الكهربية وهو يحاول استبدال مصباح في السقف.. لا تنس أنه يعيش وحده..

قبل أن نستوعب الخبر هتف أحد الشباب معنا:

-«هل تفهمون معنى هذا؟.. لا علاقة لموتهما بالأبراج!.. ياسمين من برج العذراء لا برج اللوحة، ورأفت من برج القوس لا برج الكهرباء!»

دوت ضحكة عصبية، ثم تذكرنا أين نحن وماذا نفعله. هكذا انفجرنا في البكاء.. تهاوت الفتيات يبكين في هستيريا بينما وقف الشباب ساهمين.. نحاول تذكر رأفت وكيف كان يجمعنا ويصدر لنا التعليمات..

غدًا سوف نحضر جنازتين.. سوف أوصل أكثرهم بسيارتي اللادا العتيقة فهم من الشباب معتادي الميكروباص كما تعلم..

وعندما استطعنا أن نرتب أفكارنا، بدا واضحا لنا أن وفاة هذين لا يمكن أن تكون صدفة.. مستحيل.. لكنها كذلك وفاة لا ترتبط بأي برج كما حدث في أربع الوفيات السابقة..

هل معنى هذا أنه لا لعنة هناك وأننا أحرار؟..

لكن أعطني تفسيرًا من فضلك لكون ستة من جماعتنا يلفظون أنفاسهم في هذه الفترة القصيرة؟.. (ثريا) لم تمت لكن الأمل شبه معدوم كما يقولون..

هذا الشعور الغريب بأن عددنا يتناقص وأن دور أحدنا قادم يشعرك بالذعر فعلاً، وقد طلب منا رئيس التحرير أن نجتمع عنده.. طلب هذا من فريق العمل الذي تلقى تهديدات من عدنان.. لقد بقي منا ستة.. معنى هذا أن نصفنا قد هلكوا..

في مكتبه الفاخر الذي يشعرك بأنك في مكتب وزير إعلام، وحيث تغوص قدماك مترين في البساط، تذكرت عبارة ساخرة قديمة عن أن المشكلة التي أنت فيها تتناسب طرديا مع سمك السجادة في مكتب المسئول الذي استدعاك. مجلتنا تحقق الكثير من المال لكنه لا يصل للصغار كما هي العادة، لذا كانت مكاتبنا فقيرة جدًا.. من الصعب أن تصدق أن هذا المكتب موجود في ذات البناية. كان رئيس التحرير متحفظا وهو يعزينا في زملائنا، حتى أنه كف عن تدخين السيجار دقيقة كاملة. قام بتعيين (محمود الشربيني) مدير تحرير بدلاً من (رأفت)، وقال لنا إنه يعرف القصة كاملة لكنه لا يصدق حرفا..

-«لقد قمت بإبلاغ الشرطة وهم يعدون باتخاذ التدابير اللازمة»

وهو ما يعني ببساطة أن شيئا لن يحدث. الشرطة ليست رائقة المزاج إلى هذا الحد.. هؤلاء ستة سوف يموتون بأبراجهم.. لا نعرف كيف ولا متى ولا أين.. فقط نرجو أن تحافظوا عليهم!

ثم طلب منا اتخاذ واجب الحذر، وأخبرنا بأن هناك حفل تأبين سيقام لشهداء الصحافة.. الخ.. الخ..

عندما انتهى الاجتماع خرجنا.. إنها التاسعة مساء، وأنا جائعة فعلاً..

كان داء السكري الصبوي جزءًا مهما في حياتي منذ السادسة.. تعلمت كيف أتحكم في شهيتي وكيف أنظم حياتي، وقد تقبلت المرض كطبيعة أخرى لي ربما تعطيني بعض التميز..

كنت أفكر في هذا وأنا أدير محرك سيارتي اللادا العتيقة.. أمامي رحلة نصف ساعة حتى أصل إلى داري حيث ينتظرني العشاء...

يدخل (حسن) في حياتي.. قابلته بعد تخرجي من كلية الإعلام، وكان هو الشخص الذي اعتقدت أنني قادرة على استكمال حياتي معه.. من الصعب أن تتصور المرأة أن تمضي حياتها مع رجل ينام ببيجامة مخططة ويصحو منكوش الشعر نامي اللحية.. يتجشأ ويدخل الحمام ويلعب في أصابع قدميه ويلتهم الفول كالحمير ويكون عليها أن تتقبل سخافات الرجال الأخرى منه..

لا.. لابد من الحب كي تتحمل المرأة هذه التضحية، وأنا أحببت (حسن) وبدا أنه يحبني بحق.. لم يكن أحدنا يعاني مشاكل مادية. نحن من القلائل المستريحين فعلاً، ولديه شقته وأنا أملك سيارة وأهلي أثرياء نسبيا.. لهذا كان طريق الزواج مفتوحا لم يغلقه إلا مجموعة من جزر (لانجرهانز) اللعينة. لقد حانت لحظة الحقيقة. أردت أن نبدأ بداية صحية. أخبرته بأنني مصابة بالسكري وأنني أتعاطى العلاج بشكل منتظم، وهناك ضوابط صارمة على حياتي.. حملي قد يكون مشكلة، وقد أنقل المرض لذريتي برغم أن طبيبي يقول إن هذا لن يكون..

أرمق معالم الطريق في الظلام وأنا أتذكر...

لقد تغير (حسن) عندما أخبرته... امتقع وجهه وبدا مرتبكا.. ثم بدأ يبتعد.. يبتعد.. يبتعد..

هكذا يبتعد الرجل بطريقة تقول بصوت خفيض (انتهى الأمر.. أنا لن أتحمل وضعا كهذا). كان علي أن أتوقع هذا وأقبله. لقد أخبرته على سبيل التخيير وكان من حقه أن يقول نعم أم لا.. لكني لم أقبل هذه الـ(لا). بدت قاسية جدًا..

ومنذ ذلك الحين هو زميلي في المجلة وأراه يوميا، لكن علاقتنا التي كانت (نحن) صارت (هو وهي)..

عجلة القيادة عنيدة جدًا... هناك مشكلة ما..

لحسن الحظ هناك تلك الورشة المفتوحة. هناك إطارات معلقة ومنفاخ وكوريك.. توقفت هناك ونظرت خارج النافذة في ملل، فظهر ذلك الفتى النحيل الأسمر ذو العينين الخضراوين والضحكة المريبة الخبيثة، متسائلاً.. قلت:

-«هناك مشكلة في الإطارات..»

شكله لا يبعث الطمأنينة في النفس ولا أحب أبدًا أن أتواجد معه منفردة. إن لم يكن ممن يغتصبون النساء. وأنا أستبعد ألا يكون كذلك. فهو يسرقهن..

دار حول السيارة ثم تفحص العجلة الأمامية اليمنى وركلها وقال إنه لابد من فكها لفحصها. ترجلت من السيارة ووقفت أراقب المارة بينما هو يجلب الكوريك ويرفع السيارة ثم يفك العجلة بسرعة احترافية.. يدحرجها على الأرض إلى حيث ذلك الحوض ويغمرها فيه، ويراقب المشهد..

-«مثقوبة.. لابد من لحامها..»

أوف!.. ليس في هذه الليلة وأنا أموت جوعا ومتأخرة أصلاً، لهذا وقفت في سأم أراقبه وهو يلحم الإطار.. ثم قلت له إنني ذاهبة لأبتاع شيئًا..

مشيت بضع خطوات حتى وجدت كشكا مفتوحا فابتعت علبة عصير وبعض البسكويت.. ووقفت التهم هذه الأشياء في جشع حتى أن صاحب الكشك ظل يرمقني في دهشة.. أخيرًا أشعر أن هذه الكلبة التي تنبح في أحشائي قد شبعت..

أخيرًا انتهيت فعدت لأجد العجلة في مكانها والفتى داخل الورشة.. وكان قد أنزل الكوريك وأبعد أدواته..

ركبت السيارة جالسة خلف عجلة القيادة. جاء الفتى ذو العينين الملونتين فناولته بعض الجنيهات في كبرياء تعرف الأنثى كيف تتعامل بها.. وسألته دون انتظار إجابة:

-«هل كل شيء على ما يرام؟»

فتح فمه ليتكلم لكني أدرت المحرك وانطلقت بينما هو يرمقني بغباء..

أدرت المقود لأدور حول المنحنى.. هناك في الشارع الخلفي شبه المقفر وجدت الفتى الذي قام بإصلاح العجلة يركض نحوي.. كان يرفع يده، فلم أفهم ما يريد لكنني اندهشت لكونه سبقني بهذه السرعة.. لقد تركته خلفي منذ دقيقة وها هو ذا ينتظرني عند المنحنى..

بصراحة شعرت بذعر.. عودته هذه مريبة وهو أكثر إثارة للريب.. لن أتوقف أبدًا..

ضغطة على البنزين وتتركين كل الأخطار خلفك ببضعة كيلومترات في نصف دقيقة.. لهذا تحب الفتيات السيارات، ولهذا ابتاعها لي أبي..

لم أشعر براحة إلا عندما انطلقت السيارة على طريق المحور، وبسرعة عالية تريح أعصابي.. السيارة تتنفس أخيرًا بعد ما أو شكت على الموت اختناقا في زحام القاهرة..

(حسن) قد تخلى عني وأنا أحبه..

سوف أذكر هذا للأبد..

والأدهى أن أصدقائي الآخرين يموتون.. إن لدي رصيدًا هائلاً من الحزن يمكن أن أستمتع به وحدي في الفراش قبل النوم..

أشعر أن..

ما هذا الذي يطير ناحية اليمين؟

أراه في المرآة يتدحرج على الطريق خلفي.. ثم.. ماذا يحدث؟.. ماذا أصاب هذا المقود؟.. إن العربة لا وزن لها.. خفيفة جدًا كأنها ريشة في مهب الريح..

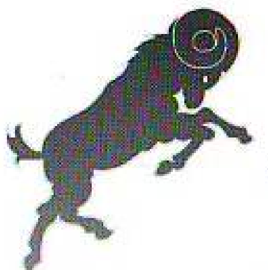
أنا عاجزة عن التحكم.. هناك شيء ما خطأ.. شيء ما خطأ..

إنني أطيييييير..

أطيييير...

ماذا يحدث؟

من ٢١ ديسمبر إلى ١٩ يناير



حادث عبثي فعلاً ذلك الذي أودى بحياة (لمياء).. حادث جدير بدراما اللامعقول..

الفتى (جابر) الذي قام بإصلاح عجلة السيارة كان أحمق وقد تكلم كثيراً وملأ الدنيا صراخاً.. هكذا عرفنا القصة، ولو لم يتكلم لما عرفنا أي شيء.. الحكاية أنه قام بإصلاح الإطار ووضعه في مكانه ثم لم يحكم ربط المسامير أو - على حد تعبيره المهني - (يحرّق عليه).. هناك من ناداه لشيء ما، وهكذا ترك السيارة وذهب.. عادت هي لتجد أن أخاه التوءم (ماهر) يقف هناك فافترضت أنه هو وقد أنهى عمله!!.. دفعت له بعض الجنيهات ثم انطلقت بالسيارة قبل أن يشرح لها. وحاول الفتى الأول (جابر) أن يستوقفها عند الناصية فلم تعبأ به.

الآن يمكننا تخيل المشهد ولمياء تنطلق بسرعة مائة كيلومتر على طريق المحور.. تنفصل العجلة الأمامية وتطير لتجد أنها تندفع على ثلاث عجلات.. لا مجال للفرامل ولا فرصة لشيء سوى أن تنقلب..

لم نفطن لشيء إلا عندما تذكرت أن (لمياء) من برج الجوزاء!

هنا فقط صحت:

-«برج الجوزاء.. (جابر) و(ماهر) توءمان!.. لقد لقيت مصرعها على يد توءمين.. على يد جوزاء»

تعالى الهمس وساد التوتر..

لا سبيل للفرار من هذه اللعنة.. سوف تظفر بكل واحد فينا.. إنها محكمة كالقدر..

وانفجرت مروة صارخة في هستيريا:

-«أنا من برج الأسد!.. سوف يلتهمني أسد..!.. أعرف هذا..»

قلت لها في غيظ:

-«اللعنة لا تتصرف بهذه الطريقة الطفولية المباشرة وإلا لنجونا جميعا.. إنها تتلاعب بنا وتعتمد على المجاز والاستعارات والألعاب اللفظية..»

الآن كانت أخبار ما يحدث قد تسربت إلى الصحف وبدأ الناس يتكلمون عن انتقام عدنان الرهيب. ليس هذا ما نريده.. نحن أثبتنا أن الرجل نصاب لكننا لم نقل إنه لا يمارس السحر الأسود.. هو ليس عرافا لكنه يملك القدرة على الانتقام عبر الأبعاد.. جاءتنا بعض مكالمات هاتفية بعضها يعرض العون وبعضها يتشفى وبعضها يعزينا.. لكننا كنا في حالة لا تسمح لنا بالتعبير عن الامتنان..

اسمي (حسن أبو غصيبة).. صحفي شاب متحمس لو كنتم قد لاحظتم هذا.. ارتبطت بقصة حب طويلة مع لمياء، انتهت بأن صارحتني بأنها مصابة بداء السكري.. كانت تخبرني كي لا تخدعني في شيء.. بدا لي أنه من الحكمة ألا ابدأ حياتي بالارتباط بهذا المرض فأنا مسئول عن أطفالي القادمين، خاصة ان أبوي مصابان بهذا الداء..

(لمياء) كانت تعطيني حرية اتخاذ القرار، وقد اخترت.. لكنها لم تغفر لي ذلك قط.. هذه طريقة غير عادلة مثل أن تخير شخصا بين أكل البامية أم السبانخ. فإذا اختار السبانخ صحت في اشمئزاز: حمار!!

أعتقد أن الموضوع انتهى وأنها لم تعد تذكرني.. يجب أن افترض هذا كي أتمكن من النوم ليلاً.. أصعب شيء في العالم أن يموت

شخص حانق عليك.. هذه هي الطريقة المثلى كي يعذبك الشعور بالذنب وتصاب بشلل نصفي..

والآن كيف سأموت أنا؟

من الغريب أن يستسلم المرء بهذه البساطة لخرافة. هذا هو الجزء الأول من النهاية.. أعتقد أن العقل الباطن يتكفل بالباقي، وقد رأيت حلقة من برنامج قارئ الأفكار الشهير (ديرن براون) يطلب فيها من خبيري إعلانات أن يصمما حملة دعاية لمشروع خاص بالحيوانات الأليفة. وقد عكف الرجلان على تصميم ملصق جميل.. في النهاية يفاجئهما بأنه رسم الملصق قبل أن يضعا في ملصقهما خطا واحدًا.. الفكرة هنا أنهما رسما بالضبط ما أراد أن يزرعه في ذهنيهما من معالم الطريق وهما ذاهبان لمقابلته. هذا هو ما يحدث هنا.. ربما اختارت لمياء لا شعوريا فني إطارات يعمل لديه توءمان.. ربما أصيبت ثريا بالسرطان لأنها أرادت ذلك.. من يدري؟..

إنه تفسير صعب لكنه أسهل من القول إن لعنة ذلك المشعوذ تطاردنا..

أنا أنتمي لذات برج الرئيس الأمريكي نيكسون والمطرب إلفيس بريسلي والملاكم محمد علي كلاي.. هل هذا يعني شيئا ما؟.. لا أظن..

عدت إلي داري حيث أعيش مع أبي وأمي وأخوين أصغر.. استقبلتني أمي على الباب بوجهها المسن الطيب.. لو سارت الأمور كما نتوقع فمن الواضح أنها ستفقد ابنها خلال أيام..

لكني لا أصدق.. أعرف أن الجميع سيموتون باستثنائي أنا.. لا يمكن أن يكف وعيي عن التواجد، ولسوف أرى نهاية العالم وأرى المحيطات تغيض والبراكين تنفجر وأرى كل البشر يهلكون باستثنائي أنا..

تقول لي أمي :

-«تعال لترى ما أرسله خالك.. إنه على سطح البناية»

خالي؟.. يرسل شيئا؟.. على السطح؟.. هدايا قليلة جدًا تلك التي توضع على السطح من بينها الديش ولكن لدينا واحدًا.. صعدت درجات سلم البناية التي نملكها وقلبي يتواثب، فلم أدن من باب السطح الخشبي حتى كنت قد خمنت ما هنالك، وجاء الصوت الذي يقول (ماااء) ليؤكد لي إنني عبقري.

(مااء) كما يسمعها العرب، و(بااء) كما يسمعها الغربيون. المهم أن هذا الشيء يقف هناك على السطح مربوطا بحبل من ليف إلى السور، وهو ينظر لي نظرة شبه ساخرة..

نسيت أن عيد الأضحى اقترب وأن خالي يرسل لنا الخراف والجديان قبل العيد بفترة كافية، لأن جزاري القاهرة غشاشون.. هو يفضل أن يرسل جديا لأنه بلا فراء كثيف، وبالتالي فلحمه شبه خالص، على أن يذبحه جزار خبير حتى لا يتلوث لحمه بالشعيرات الدقيقة.. خالي من الطراز المولع بهذه التفاصيل التي تثير غيظي، كأنها سر الحياة ذاته..

المهم أن هذا الجدي يقف هناك جوار السور.. جدي حقيقي ضخم الجثة له لحية، وهو يمضغ تلك الأشياء الغامضة التي لا تكف المواشي عن التهامها.. نظرة شيطانية على وجهه فلا عجب أن المسيحية الأوروبية ربطت التيس بالشيطان، وقيل إن هذا كي يتخلى الناس عن عبادة (بان) إله المراعي الوثني.. هذا شيطان حقيقي.. اقتناء جدي أو ماعز في القرون الوسطى كان يكفي لإحراق صاحبته، لأنهم كانوا يفترضون أنها ساحرة تعاشر الشيطان، ولا أرى في هذا قسوة..

طبعا أنت خمنت أنني من برج الجدي.. لهذا أصابتني نوبة من الهستيريا :

-«هذا الشيء لن يبقى هنا لحظة واحدة!»

-«هل جننت؟»

-«لا أستطيع الشرح.. لكن لابد من التخلص منه»

سوف يقتلني.. لا أعرف متى ولا كيف لكنه سيفعلها.. جدي في هذا الوقت بالذات ليس له سوى معنى واحد.

تشاجرت ولعبت دوري بنجاح تام: أن أقنعهم أنني مجنون تماما.. وفي النهاية قال أبي في حزم: لا طريقة للتخلص منه.. لو كنت جبانا إلى هذا الحد فعليك أن تبيت عند أصدقائك..

قضيت الليل بلا نوم تقريبا لأن غرفتي تقع تحت موضع السطح السعيد الذي يقف فيه ذلك المخلوق. طيلة الليل أسمع صوت حوافره تضرب الأرض وأسمع ذلك الثغاء الكريه. أتصوره وقد مشى على قدميه الخلفيتين كما نرى في صور الشيطان، فقط صارت عيناه حمراوين وهو ينزل الدرج قاصدًا غرفتي.. حوافره صارت مخالب حادة طويلة كالسكين..

إنه هناك.. ينتظرني..

في الصباح غادرت البيت مبكرًا.. ونظرت لأعلى في حذر.. كل الخراف المربوطة على السطح تقطع حبالها وتنتحر قبل يوم العيد.. هذا خبر ثابت في الصحف كل عام.. سوف يقطع حباله ثم يثب من أعلى ليسقط فوقي ليهشمني.. هذا هو السيناريو الأرجح.

ماااء.. ماااء.. كذا ناداني من أعلى.. فصاح صبي يمشي في

الشارع: «مفيش برسيم اسكت يا بهيم».. ياه!.. لم أقلها منذ كنت في التاسعة من عمري.. شعور غريب ينتابني وأنا أتذكر طفولتي بينما العمر يدنو من نهايته كما هو واضح..

عدت من العمل في ساعة متأخرة من الليل.. لم أخبر أحد من الزملاء بهواجسي حتى لا يسخروا مني. عدت للمنزل فصعدت في الدرج.. هنا سمعت ضوضاء أعلى من اللازم قادمة من أعلى.. رفعت رأسي وأنا أتوقع أن ينقض هذا الجدي علي ليمزقني..

كان ذلك الرجل ضخم الجثة مخيف المنظر يركض على السلم قادما من أعلى.. إنه مبلل بالعرق يلهث، وقد وضع على كتفه شيئا ثقيلاً في جوال.. ومن خلفه يركض رجل يماثله في الحجم يحمل باقي الجوال على كتفه.. أحدهما كان يحمل سكينا ضخمة من سكاكين الجزارين..

تم اللقاء بيني وبينهم في منتصف طريقي إلى شقتنا، وفي الظلام شبه الدامس..

هذان لصان سرقا الجدي ومن الواضح أنهما ذبحاه لأنه لا يصدر صخبا ولأن ثيابهما ملوثة بالدم.. توتر الرجلان وأخرج أحدهما السكين الضخمة يلوح بها في وجهي موشكا على الضرب، لكني تراجعت لألصق ظهري بالجدار وصحت:

«لا تفعل شيئا أحمق.. خذه وارحل!.. صدقني أنا أرغب في الخلاص منه!»

هذان المجنونان لا يعرفان أنهما فعلا أفضل شيء ممكن. لقد تسللا من باب البناية عندما حل الظلام ولم يجدا عسرًا في فتح باب السطح.. المهم أن يرحلا في سلام ولهما تحياتي وشكري..

نظرا لي في عدم تصديق ثم هرعا ينزلان في الدرج.. توقعا أن أصرخ لكني لم أفعل طبعا..

وسمعت صوت سيارة تتحرك.. طبعا هناك سيارة كانت تنتظرهما..

واصلت الصعود إلى السطح لأرى ما حل به.. لقد أغلقا الباب خلفهما كما هو واضح..

هنا كان أول شيء طالعني هو الجدي اللعين!

كان يقف هناك في ضوء القمر ينظر لي وقد قطع الحبل الذي يربطه.. وتراجعت في ذعر وأنا لا اصدق، هنا انقض علي بلا تردد...

جريت كما لم يجر أحد من قبل.. كان في حالة هياج غير عادية.. وبصعوبة استطعت أن أثب إلى باب السطح وأغلقه خلفي بينما ارتطم القرنان به بقوة..

ووقفت وظهري للباب ألهث..

إذن لم يأت الرجلان من السطح.. جاءا من شقتنا!.. وما كانا يحملانه على ظهرهما هو جسد بشري وليس الجدي.. جسد بشري هو جسد أبي أو امي أو أخي... وأنا تركتهما يفران!

رباه!.. كانا ملوثين بالدم!

كان قلبي يتواثب في صدري بلا توقف وأنا أنزل الدرج بقدمين من عجين.. ترى ماذا ينتظرني في الشقة وأي مشهد سأراه؟

ربما لم يقتلني الجدي لكنه سبب أعظم حماقة ارتكبتها في حياتي.. لكن لندع التفكير جانبا ولنر ما حدث في الشقة أولاً..

من ٢١ يوليو إلى ٢٠ أغسطس



كنت واقفة في غرفة النوم أبدل ثيابي عندما دق جرس الهاتف المحمول. وقفت بقميصي الداخلي وقميص النوم في يدي ورحت أصغي لما يقوله الطرف الآخر..

دنوت من المرآة وتأملت وجهي.. لكني لم أكن أرى شيئا لأنني كنت هناك مع (حسن ابو غصيبة).. (حسن) الذي اخبروني أنه تعرض لحادث..

هناك مجهولان تسللا للبناية وقتلا اثنين من أفراد أسرته. الغريب أنهم اصطدما به على الدرج وهدداه بالسكين وهربا وهو لم يبذل جهدًا في مطاردتهما..

يقولون إنه انتقام بسبب شيك بدون رصيد كتبه أبوه. أبوه ثري لكنه ـ ككل الأثرياء ـ يعبث أحيانا حيث لا يجب أن يعبث، وقد اصطدم بخصم قوي صمم على الانتقام. هناك من قالوا إن الخلاف كان على قطعة أرض استولى عليها الأب.. لا أحد يعرف وحسن غير قادر على إعطاء صفات الرجلين بدقة لأنه في حالة انهيار عصبي.. لقد وجد مذبحة في الشقة عندما دخلها..

فقط هو في المستشفى يردد بلا انقطاع:

-«الجدي حي!.. الجدي حي!»

كان الذي أخبرني بهذا كله هو زميلنا حاتم..

-«وهل هناك جدي في القصة؟»

-«للأسف نعم!.. هناك جدي أرسله خاله لهم وقد أصيب (حسن) بذعر جهنمي عندما رآه..»

- «على الأقل لم يسبب الجدي هذه الكارثة ..»

- «نعتقد هذا.. والأهم أن (حسن) لم يمت.. أقاربه هم الذين ماتوا.. يبدو أن اللعنة ليست دقيقة تماما..»

لكن هذا أسوأ.. نظرت إلى الخلف حيث جلست أختي (نتيلة) على الفراش.. من قال إنني أفضل موتها على موتي؟؟.. يبدو أن (حسن) كان أسوأنا حظا.

أغلقت الهاتف ويدي ترتجف.. ونظرت إلى الخلف فوجدت أن (نتيلة) تنظر لظهري في ثبات.. سألتها عما هنالك.. نهضت وأشارت إلى بقعة ما بين لوحي الكتف وقالت:

- «ما هذه؟»

لم أفهم.. لذا أتيت بمرآة أخرى واستعملت المرآتين لأتفحص ظهري.. لا يوجد شيء سوى بقعة باهتة اللون بين لوحي الكتف.. بقعة بحجم كف طفل.. هذا لا شيء.. أنا محجبة ولن يرى أحد ظهري أبدًا. حتى لو تزوجت فالزوج الشرقي لا يرى جسد امرأته على الأرجح. أنا لست رائقة المزاج لهذه التفاصيل..

قلت في غيظ:

- «فعلاً مشكلة.. لن ألبس ثوب السهرة (السواريه) عاري الظهر.. خسارة!»

ثم ارتديت ثيابي وغادرت الغرفة..

الآن أنا في مشكلة حقيقية.. اللعنة تطاردنا ولم يبق أمامها سوى أربعة.. كانت فرصة أن تكون أنت القادم هي واحد على اثني عشر.. الآن هي الثلث...

أنا مذعورة.. نسيت أن أخبرك أني من الطراز الهستيري العصابي الذي يخاف من شيء.

كيف يمكن أن أموت؟.. تذكرت ما قاله لي مدير التحرير الأستاذ رأفت: «طبعا لا أنصحك بالذهاب إلى السيرك أو حديقة الحيوان إلى أن نفهم ما نحن فيه». الغربيون يقولون: لا يمكنك أن تكون حذرًا أكثر من اللازم.. وهذا ينطبق على ذلك البائس لأنه مات بصدمة كهربية وهو يبدل مصباحا في شقته. أنذرني لكنه لم يكن حذرًا لهذا الحد..

اسمي (مروة).. لابد أنك تعرفني الآن.. أكتب بعض المقالات القصيرة التي لا خطر منها مثل (أفضل طريقة لتقشير البصل بلا دموع) أو (ماكياجك في المساء). وأحيانا أكتب حلولاً لمشاكل القراء الذين لا يعرفون أن (مدام سوزي) التي ترد عليهم ليست سوى فتاة في الرابعة والعشرين نحيلة مذعورة لا تعرف أي شيء عن الحياة..

أنا من برج الأسد.. برج بونابرت وبرنارد شو وعمر الخيام.. مؤخرًا عرفت أنه برج (أرنولد شوارزنجر) الذي كان نجم أفلام الأكشن فصار عمدة كاليفورنيا.

لكني لم أرث أيا من طباع الأسد، فأنا مترددة خائفة هشة.. أخاف كل شيء ولا أقدر على اتخاذ قرار، وثقتي بنفسي معدومة.. ربما لأن أبي كان قاسيا ولأن أخوتي ذكور أقسى منه.

اتصل بي (مدحت) خطيبي يعرض علي أن نخرج قليلاً..

أنا أخشى الخروج فعلاً، لكن الحقيقة التي لا تنكر هي أن أكثر من ماتوا ماتوا في بيوتهم.. هكذا قررت أن أفعلها وأتشجع. أخبرت أمي أنني خارجة مع مدحت.. لا أعرف البرنامج على الإطلاق..

كانت الخامسة عندما ظهر مدحت. إنه معلم شاب حديث التخرج،

ولم يبدأ بعد ذلك النشاط المعروف بالدروس الخصوصية. هو غير معروف بعد، وهو على العموم يؤمن بأنه على درجة من النحس بحيث سيكون المعلم الوحيد الذي يفشل في الكسب من الدروس الخصوصية.

-«لو صرت تاجر مخدرات لأقلع الناس عن التعاطي.. ولو أدرت بيت دعارة لأعلن الناس العفة وتزاحموا في دور العبادة!»

كنت أقول ضاحكة:

-«إذن أنصحك بافتتاح بيت دعارة.. نحن بحاجة إلى أن يستقيم هذا المجتمع»

هكذا ظهر.. أعرف يقينا أن هذه النزهة سوف تكلفه مالاً طائلاً. ربما اقترض شيئا من أمه.. لا أعرف السبب في أن الشباب الجديرين بالحب لا يصلحون للزواج، والعكس.. معظم العرسان الجاهزين القادمين من الخليج لا يتمتعون بشيء من مواصفات فتية الأحلام.

قال لي مدحت:

-«كنت أفكر في حديقة الحيوان لكن الوقت تأخر.!»

-«الحمد لله أنك لم تفكر.. طبعا لن أذهب هناك بأي ثمن..»

هو لا يعرف القصة.. لهذا افترض أنني مللت هذه التسلية المكررة خاصة وأن حديقة الحيوان لم تعد تناسب سوى المرضى النفسيين الذين يهوون مشاهدة أقفاص خالية قذرة..

عاد يفكر:

-«ربما هو السيرك.. هناك فرقة جديـ.....»

-«لا!»

ثم أضفت في عصبية:

-«أي مكان فيه أسود مرفوض!... يصعب شرح الأمر لكنه نوع من الذعر.. فهمت؟»

-«وماذا عن السينما؟.. هناك فيلم جديد في سينما مترو.. إنه....»

عدت أفكر.. ثم قلت في حذر:

-«سينما مترو.. أليست هي التي تعرض أفلام شركة (مترو جولدوين ماير)؟.. حيث يظهر أسد يزأر في البداية؟»

-«بلى.. هذا هو شعارهم»

-«إذن.. لا تحاول..»

فرصة أن يقتلني الفيلم واهية أو معدومة، لكني سمعت قصص موت الآخرين.. فتاة تموت في يخت اسمه (برج الدلو).. وواحد يموت لأن على سطح البيت جديا.. إن المجازات وافرة جدًا هنا، وأكون ساذجة لو افترضت أن هلاكي سيكون بين أسنان أسد حقيقي يهاجمنا الآن في ميدان التحرير.

كلا.. لابد من الخيال.

كنا الآن نعبر مكانا مألوفا فرفعت رأسي لأرى ما لم يخطر لي ببال.. لماذا نسيت أسدي قصر النيل؟.. هذه لحظة مناسبة كي ينهار أحد الأسدين ويسقط فوقي.

قلت له في عصبية:

-«لن أعبر من هنا..»

-«أنت تزدادين عصبية..»

وراح ينظر لي في دهشة.. بالفعل أتصرف كالمخابيل ولا يوجد أي منطق لأفعالي وتصرفاتي. راح يفكر قليلاً ثم قال لي:

-«دعينا لا نذهب لأي مكان. لنقف هنا على الكورنيش ونتكلم..»

وهكذا استندت إلى السور الحديدي أرمق النيل.. رائحة الذرة المنعشة الطازجة تتسرب لأنفي من بائع يقف خلفي. قلت له إنني أريد أن آكل بعض الذرة. تنفس الصعداء لأن هذا يعني أن الجولة لن تكلفه إلا ملاليم. لو دخلنا السينما لكان عليه أن يدفع التذكرتين والمشروبات ثم يدعوني للعشاء في (كنتاكي) بعدها..

هكذا اتجه إلى البائع الصعيدي العجوز وابتاع كوزين ساخنين ووقف جواري.. راح يلتهم الحبيبات وهو يكلمني عن الغد. الغد الذي يخشاه كالموت لأنه لا يرى أية ثغرة يتحرك فيها. كنت أنا أخشى الغد لأسباب تختلف.. أخشى ألا يكون هناك غد أصلاً!

أخيرًا عدنا في المساء.. لاحظت ملاحظة عابرة هي أن من يسبقني في المشي يلتفت لينظر لي في فضول. شيء غريب لأن خلفيتي ليست مغرية لهذا الحد..

عندما افترقنا أخيرًا شكرته على الأمسية الجميلة وطلبت منه أن يتحملني.. انا غريبة الأطوار هذه الأيام.. هز رأسه وابتسم برفق..

دخلت البيت وكانت (نتيلة) جالسة في الصالة تشاهد التلفزيون عندما مررت أمامها. هنا صاحت:

-«ما هذا؟.. ماذا أصابك؟»

ونهضت مسرعة.. ووضعت يدها على ظهرى:

-«أنت حرقت ظهر القميص مع جزء من الإيشارب..»

ونزعت القميص ونظرت.. بالفعل هناك فجوة بحجم قبضة اليد في أعلى ظهر القميص مع احتراق طرف الإيشارب.. لقد تمسكت نار بائع الذرة المتطايرة من الفحم بثيابي، ولم أشعر أنا ولا شعر مدحت، ولحسن الحظ أنها انطفأت تلقائيا.. ولهذا كان من يراني من الخلف يلتفت لينظر لي في فضول..

قالت لي في دهشة:

-«إلى هذا الحد أطار الحب صوابك؟.. لم تشعري أنك تحترقين؟»

بالفعل لا أفهم.. من الطبيعي أن أصرخ كالمجانين وأجري وأولول..

البقعة البيضاء بين لوحي الكتف!.. هذه هي البقعة التي لمستها النيران فلم تشعر.. ما معنى هذا؟.. يجب أن أذهب للطبيب غدًا..

فرغ د. (مازن) استشاري الأمراض الجلدية من الفحص وبدا عليه القلق.. لمس البقعة عدة مرات بأشياء لم أتبينها وفي كل مرة أقول له إنني لم أشعر بشيء..

قال وهو يحك شعره:

-«سوف نجري المزيد من الأبحاث.. لكننا نقلق بشدة عندما نرى هذه البقعة فاقدة الحس.. إنها تعيد لأذهاننا مرضا مقلقا هو مرض (هانسن)»

-«ما هو؟»

-«يحدث هذا في حالات معينة من أمراض الجهاز العصبي، لكن في العادة تكون هذه مؤشرات مبكرة على مرض الـ.. لا عليك.. إنه قابل للعلاج.. الجذام صار قابلاً للعلاج وقد كان مرضا مخيفا في الماضي!»

جذام!!!.. أعرف هذا الاسم ورأيت صورًا مروعة من أفريقيا

لمرضى به.. أعرف تلك المتسولة التي مرت بنا ونظرت لي بعينين حمراوين لا تريان ثم مدت يدًا بلا أصابع تطلب مني صدقة..

جذام!... قلت في جزع:

-«إنهم يتشوهون!»

قال د. (مازن):

-«ليست هذه هي القاعدة.. دعك من أننا سنبدأ العلاج بمجرد أن يكتمل التشخيص.. الريفامبيسين.. الدابزون.. الخ.. أما التشوه فيحدث في حالات متقدمة جدًا، بحيث يصير وجه المريض مليئًا بالعقد ويزول شعر حاجبيه كما تلتهب عيناه.. لهذا كان العرب يطلقون على المرض اسم (داء الأسد)!»

نظرت له طويلاً ثم نهضت واقفة..

الأسد!... كان يجب أن أعرف هذا منذ البداية..

غادرت العيادة.. أنا أعرف ما سأفعله وأعرف متى سأفعله..

الليلة. النيل.. لن أنتظر حتى أتشوه وأشبه تلك المتسولة.. أعرف جيدًا أن هذا نصيبي من اللعنة وأني لن أشفى..

الليلة.. النيل.. الظلام والماء البارد...

لقد ظفر بي الأسد.. لكني لن أنتظر حتى يلتهمني بالكامل.

سوف أخدعه وأفر إلى أعماق النيل الباردة التي لا يمكن أن يؤذيني شيء فيها.. . . .

من ٢٣ سبتمبر إلى ٢٢ أكتوبر



قال لي د. (أبو داود):

-«إذن أنت متأكدون من أنكم لم تقابلوه..»

قلت في إصرار:

-«لم يحدث»

عاد يحك رأسه..

د. (أبو داود) نصاب يزعم أنه يفهم في هذه الأمور. دكتوراه من المجر في شيء ما، وعلى قدر علمي يمكن لكل إنسان أن يتوارى عن الأعين عامين ثم يعود ويزعم أنه حصل على دكتوراه من المجر، وهو يلبس نظارة رفيعة ذهبية الإطار ذات سلسلة تتدلى على قصبة أنفه، وله لحية قصيرة مهذبة، ونظرة مجنونة في عينيه.. باختصار هو مناسب جدًا لهذه الأمور.

قال لي:

-«من ناحية الأبراج أنا لا أثق بها، وأعتقد أنه سخّر الشياطين للظفر بكم لتنفيذ انتقامه.. لكن هذا مستحيل من دون أن يكون عنده شيء من آثاركم.. شعرة.. قطعة من منديل.. الخ»

قلت في إصرار:

-«هو لم يلتق بنا قط..»

-«إذن الموضوع يتجاوز فهمي»

كنا جالسين في مكتبه الصغير الواقع في الطابق الثاني بأحد شوارع

وسط البلد. واضح أنه يمارس تحضير الأرواح والتنويم المغناطيسي كذلك، وكنت قد أجريت معه حديثا صحفيا للمجلة منذ عام..

قال لي:

-«على الأقل الوضع سهل بالنسبة لك.. يسهل عليك أن تبتعد عن أي ميزان..»

-«كل من هلكوا حسبوا الأمر سهلاً..»

وفتحت خطاب (مروة) الأخير الذي كتبته قبل أن تغيب في النيل.. لقد تم إعداد المصيدة لها بعناية وحرص.. لو لم تنتحر لربما شفيت، لكن الفخ النفسي كان محكما. شعرتُ بأنها لن تنجو وأن القصة منتهية بالنسبة لها. دعك من أنها كانت عصابية تخاف كل شيء. فليرحمها الله.. أعتقد أنني آخر من تكلمت معه في المجلة كلها عندما حكيت لها قصة (حسن)...

قلت وقد تذكرت شيئا:

-«تذكر أن (حسن) لم يمت.. الأذى حل بأهله لكنه لم يمت...»

لمعت عيناه وقال في ذكاء:

-«نقطة مهمة هي..»

ثم أظلم وجهه وقال:

-«وقد لا تكون!»

نظرت لساعتي فسألني إن كنت على موعد.. قلت له إنني مرتبط بعمل صحفي مهم... تمنى لي حظا سعيدًا نصحني بأن أبتعد عن أي ميزان ممكن..

عندما غادرت مكتبه لم أكن قد ظفرت بأي شيء.. يبدو أن علي أن أحمي نفسي بنفسي..

هكذا عدت لداري.. أغلقت الغرفة علي وجلست إلى المكتب الصغير وبدأت أكتب الاحتمالات:

١. لا تقف فوق أي ميزان..

٢. لا تستعمل ميزان الحرارة.. قد يتهشم في فمك وتبتلع الزئبق.

٣. لا تتشاجر مع بائع في السوق فيقذفك بالميزان!.. هذه حدثت مع عم لي..

٤. ابتعد عن الورشة التي تجد فيها ميزان عجلات.

٥. ابتعد عن المحاكم.. الميزان الذي يحمله تمثال العدالة معصوب العينين قد يسقط فوقك أنت بالذات..

الآن نضب خيالي.. هذه اللعنات تحتاج إلى خيال خصب. هناك كاتبة أمريكية اسمها (جين كير) أوصت طفليها بكل شيء ممكن: (لا تغسلا التلفزيون بالصابون.. لا تضعا القط في الغسالة.. لا يدهن أحدكما وجه الآخر بالطلاء... الخ).. وتركت البيت.. ثم عادت لتجد أنهما فعلا الشيء الوحيد الذي لم توص به، وهو أكل أزهار الأقحوان في الحديقة!... لهذا كتبت كتابا شهيرًا ساخرًا عن تربية الأطفال اسمه (من فضلكما.. لا تأكلا أزهار الأقحوان!)..

يجب أن أجد أزهار الأقحوان الخاصة بي قبل أن يجدها عدنان..

يجب أن أذكر أن مجلتنا بدأت تعاني حالة نقص أيد عاملة مخيفة.. لقد هلك تسعة محررين في فترة وجيزة، والمشكلة أنهم كانوا من الشباب الذي هم وقود المجلة وتروسها.. الكل يتساءل وهناك جو عام

من الاضطراب والذعر.. لهذا لم يعد أحد يسألني متى جئت ومتى انصرفت..

بالنسبة للآخرين نحن الثلاثة محكوم عليهم بالإعدام.. رجال موتى يمشون..

نظرات الشفقة تثير غيظي.. ونظرات الذعر. أحيانا يعاملوننا كالمرضى باعتبار أن اللعنة التي تلاحقنا قد تمتد إلى اثنين..

لماذا فضحناك يا عدنان؟.. لماذا لم نتركك وشأنك كأي نصاب آخر؟... كم من نصاب ينعم بحياة مستقرة وثراء فاحش من دون أن يلاحقه أمثالنا، والمشكلة أننا لاحقنا نصابا يجيد السحر الأسود..

لا يمكن أن أظل هنا أنتظر الموت.. لابد أن أعيش الحياة وأمارسها..

أنا صحفي.. جورنالجي.. وسوف أعيش وأموت كجورنالجي..

هكذا بدلت ثيابي وتأهبت للخروج..

اتصلت بي (نجوى) تقول إنها بانتظاري...

نسيت أن أقول لك إن اسمي (حاتم).. برجي هو الميزان.. هو برج غاندي وبريجيت باردو وأيزنهاور.. أحرر الأخبار السياسية في المجلة، وأنا ممن يمكنك تسميتهم (مثقفو وسط البلد).. شعر طويل ثائر على كتفي، ونظارة.. أحمل حقيبة أعلقها على كتفي كسعاة البريد، فيها كاميرا رقمية وجهاز تسجيل.. طبعا لابد من الولع الشديد بجيفارا وبوب مارلي ومحمد منير والكثير من أشعار أحمد مطر وأحمد فؤاد نجم... هذه (شروة) واحدة إما أن تأخذها كلها أو تتركها كلها.

طبعًا تكتمل الصورة لو عرفت أنني أعشق المدونات، ولي مدونة اسمها (الغاضبون).. مع الكثير من الجلوس على مقاهي وسط البلد في دائرة التحرير إياها..

(نجوى) من طرازي بشعرها الثائر ونظارتها الرقيقة الشفافة وسروالها الجينز واستعدادها التام لحضور أية ندوة في أي مكان، والجلوس على الرصيف عشر ساعات كاملة.. أهلها لا يقلقون عليها على كل حال، دعك من أننا مخطوبان تقريبا.. فقط ينقصنا الكثير جدًا من المال..

الليلة كانت هناك ندوة خارقة للعادة..

هناك تجمع شبابي اسمه (رابطة الشباب المصري الليبرالي) يعقدون ندوة جماهيرية أولى لهم في أحد المقار خلف ميدان التحرير.. لن أعطي تفاصيل أكثر..

هكذا قابلت (نجوى).. سألتني لماذا أبدو متوترًا فقلت لها إن صحتي ليست على ما يرام..

ليس من المستحب أن أقول لها إنني خائف من ميزان..

كان السرادق مقاما هناك في شارع ضيق مسدود.. وقد احتشد عدد من الشباب.. نحو مائتين منهم، يصخبون ويصفرون.. ورأيت ثلاثة أو أربعة من الصحفيين الأجانب البوهيميين الذين وجهت لهم الدعوة. بينما صعد على المنصة شاعر سليط اللسان، وبدأ يلقي قصيدة مرعبة تهاجم الحكومة والنظام وكل شيء ممكن.. تصاعد الأدرينالين في دمي وعرفت أن الأمور ستزداد سخونة..

أخرجت جهاز الكاسيت وبدأ أسجل.. ثم بحثت عن الكاميرا الرقمية لألتقط بعض الصور..

هذا الموضوع لن يظفر بالنشر في مجلتنا.. مستحيل طبعا.. لكني سأعرف كيف أنشره في جريدة معارضة ما..

في مقدمة السرادق خلف المتحدثين كانت هناك لافتة قماشية

تحمل شعار (رابطة الشباب المصري الليبرالي).. مع تاريخ الاجتماع. بينما تتدلى من أعلى لافتة خشبية مربوطة بالحبال كتب عليها الاسم بالعربية والإنجليزية: League of Libral Egyptian Youth

وخطر لي أن من كتب اللافتة أحمق لأن لفظة Libral ينقصها حرف E فهي تكتب هكذا Liberal.

لكن هذه الأخطاء شائعة على كل حال.. مثلما يكتب الجميع Welcome مصرًا على كتابة حرف L مرتين...

انتهت القصيدة فعلا التصفيق، ثم صعد إلى المنصة شاب غزير العرق ملتهب الأعصاب، وبدأ يخطب.. إنهم لا يبالون بنا، لكننا سنثبت لهم أننا موجودون وقادرون على الفعل والكلام والغضب.

شعرت بمن يجذب كمي فنظرت لأرى (نجوى) تشير إلى خارج السرادق. رأيت سيارات الأمن بلونها المميز وهي تفرغ حمولتها من الجنود ذوي الثياب السوداء.. إنهم ينوون أمرًا..

استمر الخطيب في الكلام غير مبال.. ظهر ضابط غاضب محتقن الوجه وأمر بعض الجنود بإخلاء السرادق. لا يوجد تصريح بهذا الاجتماع كما قال..

بدأ الأمر هادئا ثم اشتعل.. حدثت مصادمات وتراشق ألفاظ.. تبادل لكمات، وفي النهاية انفتح باب الجحيم وأعطي الجنود الحرية الكاملة في عمل ما يروق لهم.. هكذا انطلقوا يقلبون المقاعد ويركلون ويضربون بالهراوات.. لم تأت فرق الكاراتيه لحسن الحظ..

هتفت نجوى:

«فلنخرج من هنا»

قلت لها:

«لحظة»

كنت ألتقط صورًا ممتازة بالفعل.. صورًا ممتازة إلى أن طارت الكاميرا من يدي فقد ضربها أحد الجنود بهراوته. نهضت ثائر الأعصاب أحتج لكني فوجئت بمن يهوي بكفه على مؤخرة عنقي..

الجنود يمزقون السرادق.. صرخات.. الأوتاد الخشبية تسقط.. فوضى تامة...

نظرت لأعلى فوجدت أن تلك اللافتة الخشبية المعلقة قد تحطمت.. إنها تهوي.. تهوي فوقي أنا بالذات...

ألمح المكتوب على ما تبقى منها.. Libra

جزء واحد من كلمة (ليبرالي) قد بقي..

الآن أفهم لماذا لم يوضع حرف.. E أفهم لماذا تحطمت اللافتة بهذا الشكل الغريب...

الآن فقط أتذكر أنني نسيت الاحتمال الوحيد.. زهرة الأقحوان التي وجدها عدنان..

إن Libra معناها (برج الميزان)...!

واللافتة تقترب.. تقترب.. تقترب...



من ٢٣ أكتوبر إلى ٢٢ نوفمبر
ومن ١٩ فبراير إلى ٢٠ مارس

-١-

اثنان بقيا!

قالت لي صفاء وهي ترتجف:

«أنت تدرك جيدًا يا كمال أننا لن نفلت.. كل واحد من الآخرين حسب نفسه قادرًا على الإفلات، طبقا لقاعدة (يحدث للآخرين فقط)، أو طبقا لأن أضعف يقين عند الإنسان هو الموت.. لكنهم جميعا ماتوا..»

مروة كانت من برج الأسد، وقد شك الطبيب في أنها مصابة بداء الأسد، فقتلت نفسها لأنها لم تتحمل الانتظار حتى تعرف..

حسن كان من برج الجدي وقد فقد أهله بيدي قتلة تركهم يفرون، لأنه حسبهم قتلوا الجدي الذي كان على سطح دارهم..

حاتم هلك بلافتة سقطت فوقه في مؤتمر شبابي معارض.. بصراحة لا أعرف دور الميزان في هذه القصة، لكن اللعنة محكمة بحيث أعرف يقينا أن هناك ميزانا في القصة..

لياء من برج الجوزاء وقد لقيت حتفها بسبب غلطة ارتكبها توءمان..

ياسمين أيضا من برج العذراء ولا أعرف سبب موتها بصراحة.. هي نفسها كانت عذراء.

رأفت مدير تحريرنا كان من برج القوس.. مات وهو يستبدل مصباحا في شقته.. بصراحة لا أفهم العلاقة لكنها بالتأكيد موجودة..

ثريا من برج السرطان وهي تلفظ أنفاسها في المستشفى الآن بسبب سرطان متقدم..

مي برج الدلو وقد غرقت في يخت اسمه (برج الدلو)..

صفوت قتل نفسه وهو يتأمل صورة عملاقة لثور..

عصام تسمم دمه من وخزة بسبب دبوس في حلية على شكل حمل..

إذن عشرة قد لاقوا حتفهم.. عشرة من دستة محررين بدءوا هذه القصة..

الآن يبقى برجان.. برجان..

هل ينجوان؟.. كأنها قصيدة من الشعر الحديث!.. جميلة جدًا..

هل ينجوان.. البرجان؟.. لكن أين الأمان؟.. من قبضة الجان.. ووعيد الشيطان.. عدنان؟

هذا أقرب إلى المقامات منه إلى الشعر كما ترى.

قالت لي (صفاء):

-«إنها النهاية.. كل شيء يقول ذلك»

-«ربما لم تكن كذلك..»

وفي المجلة قال لنا مدير التحرير الجديد إنه يعطينا إجازة مفتوحة.. هذا طبيعي.. يريد أن نموت دون أن نلوث المجلة بالدم. لو سقط حوت على البناية الآن ليقتل (صفاء) فلسوف يقتل خمسة أو ستة آخرين.. من الوارد أن نأخذ معنا البعض ونحن نموت..

دعك من أن المجلة استعوضت خسائرها بعدد من شباب العاملين، إنها تبدأ عهد ما بعدنا وتريد أن نرحل بسرعة..

اسمي كمال. عيد ميلادي هو ١٠ نوفمبر.. لو كنت تذكر الأرقام فأنا من برج العقرب.. بيكاسو.. فولتير.. كولومبوس.. لو أردت أن تصفني فلك أن تتخيل شابا نحيلاً جدًا أسمر جدًا صعيديًا جدًا.. كل أسرتي في (جنا) طبعا وأنا هنا أحاول أن أحقق شيئا. الصعيدي لا يفشل في القاهرة أو هكذا اعتقدت..

صفاء مولودة في ٢٣ فبراير.. هي حوت طبعا.. مثلها مثل أينشتاين، لكن هذا لا يدل على شيء.. أنا لست فنانا موهوبا وهي ليست عبقرية.. الأبراج كلها بناء متداع من الأوهام، لو نفخ فيه طفل صغير لتهاوى، وأعتقد أننا استمتعنا بوقتنا فعلاً ونحن نهدم عدنان، لأن أكثرنا لا يطيق هذا السخف.. الناس تحب أن تُخدَع. هذا من حقها.. لكنها كذلك لا تطيق أن تعترف بأنها خُدعت.. تكره من يكشف لها ذلك أكثر مما تكره من خدعها..

صفاء فتاة تلبس الحجاب المودرن المبهرج إياه.. وتلبس أشياء غريبة جدًا مثل السروال الواسع جدًا والبول أوفر الأسود، تحت قميص نوم شفاف، مع محمول لا تتركه لحظة وحذاء كوتشي. لا بأس بملامحها وإن كانت ليست من طرازي.. ربما تمنيت أن تكون نهايتي مع مي أو لمياء..

لا أعرف متى ولا كيف وجدت أننا نمشي معا في الشارع وقد تعانقت أناملنا...

قالت لي دون أن تنظر:

-«سوف يلدغك عقرب..»

-«وأنت سيلتهمك حوت!»

بالنسبة للعقرب هو وارد جدًا.. لست مدللاً وقد لدغتني عقارب

كثيرة من قبل في قريتي. التهاب في موضع اللدغة وقيء وحمى لمدة يومين.. أنت تكون في ألعن حال لكنك لا تموت.. لن يلدغني عقرب حقيقي بل عقرب مجازي.. ربما عقرب ساعة مسموم أو حفل صاخب لفرقة (سكوربيونز).. أو.. أو..

أما هي فمن العسير أن يقابل المرء حوتا في وسط البلد. ربما تضطر إلى السفر إلى جنوب أفريقيا وتركب سفينة صيد حيتان، ثم يقرر البحارة عقابها فيلقون بها في الماء. هذا هو الاحتمال الوحيد.. هناك متاجر اسمها (الحوت) في كل مكان.. قد تدخل محلاً منها فيحترق وهي فيه. هذه التعويذة لا تفتقر إلى الخيال..

تقول لي:

ـ«فلنجلس في كافتيريا..»

نجلس.. أتأمل وجهها وتتأمل وجهي.. موجة واحدة تسري بيننا.. تبتسم.. تمد يدها لي.. أرفعها وألثم أناملها.. الآن اشعر أنها جميلة جدًا.. لم يرق لي منظرها المبهرج من قبل لكنني الآن هش جدًا.. جدًا..

اثنان حكم عليهما بالموت.. لماذا لا نتزوج يا صغيرة.. لماذا لا نرى العالم معا مرة أخيرة؟

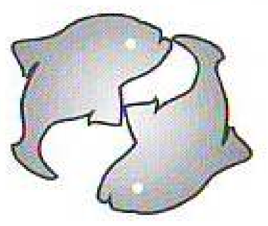
تنظر لي انظر لها.. تبتسم.. ابتسم..

ننهض وأدفع الحساب.. أعد ما معي من جنيهات...

شارع مسقوف ابتلت أرضه بالمياه وتناثرت المقاهي الشعبية على جانبيه. هذا المأذون يظل ساهرًا لفترة.. لا.. لا أريد زواجا عرفيا فلم يعد لدي ما أخشاه.. تعال يا حاج.. وأنت.. تعال أنت أيضا.. معك بطاقة؟.. نريد شهودًا على عقد زواج.. لك الحلاوة.. ستوقفان رأسين في الحلال..

نصعد درجات السلم المحطمة. المأذون ينظر لنا في دهشة.. منذ زمن سحيق لم يعد الشباب يتزوجون رسميا عنده بل يتزوجون زواجا عرفيا أو يزنون.. هذا التصرف لا يمكن فهمه. تقول لي صفاء:

ـ«سوف تندم يا كمال.. أنت صعيدي والزواج بهذه الطريقة مقرون بالعار. لن يسامحك أهلك..»



ـ«لا أبالي.. وماذا عن أهلك أنت؟»

تنظر لي بعينين عسليتين وتقول:

ـ«أنا ميتة.. لم أعد أهتم برأيهم..»

تذكرت الزيجات السريعة التي كانت تتم بين الجنود السوفييت والقرويات ليلة رحيل الجدود للجبهة.. نفس الشيء تقريبا. عندما سادت في أوروبا إشاعة أن نهاية العالم سنة ١٠٠٠، تزوج الناس في كل مكان بسرعة، وكان يكفي أن تجد فتاة تقبل الزواج بك لتكون زوجتك خلال خمس دقائق. طبعا حدثت مشاكل اجتماعية كبرى عندما مرت الساعات الخطيرة ولم ينته العالم.. عندها فطن كل واحد للمصيبة.. كيف فقدت عقلي وتزوجت امرأة بهذا القبح ـ بهذه السماجة ـ بهذا الغباء؟ الخ..

هل هو حب؟.. لا.. ليس حبا بالتأكيد.. لكن الهشاشة النفسية تجعلك تتشبث بأي إنسان وتشعر بأنك تهيم به حبا.. كلانا يفهم هذا لكننا سنتناساه...

بعض الأوراق المالية لهذا وذاك.. أجر المأذون.. سيجارة لكل شاهد.. زجاجة مياه غازية.. ثم ننهض.. إن هذا الفندق لا يسأل عن أي شيء.. لو اصطحبت معك الجيش الأثيوبي كله فلن يعترض أحد.. صحيح أننا زوجان شرعيان لكن ليست معنا أوراق تثبت هذا بعد..

فندق رخيص.. غرفة قذرة متوسطة النظافة لكنها تصلح.. لا عقارب.. لا حيتان..

الظلام جميل.. الظلام يشعرك بأنك قد تكون في قصر المنتزه أو قصر فرساي.. لا داعي لأن ترى.. في الظلام تقول لها:

-«تأخرت عن بيتك.. لابد أنهم قلبوا الدنيا عليك»

-«ألا تفهم؟.. أنا لم أعد أنتمي لهذا العالم ولا أشعر بأن قواعده تنطبق علي.. لم يلم أحد من قبل فتاة ميتة على أنها تبيت خارج البيت تحت الأرض.. أنا ميتة.. لقد وثقت بأن عدنان هذا لم يترك ثغرات»

صباح اليوم كانت زميلتي في العمل ولم يخطر ببال أحدنا شيء من هذا.. الآن هي زوجتي وأم عيالي لو عشنا!

سألتها همسا:

-«هل تعرفين أنه مولود في ١ يناير؟... لقد راجعت معلوماتنا عنه»

-«تاريخ طريف لكن ما معناه؟»

-«معناه أنه من مواليد برج الجدي.. هل فهمت؟.. هناك سبب لكون (حسن أبو غصيبة) لم يمت لكن قُتل أهله. أعتقد أن عدنان استثنى برجه من تلك اللعنة، وإن أرسل انتقامه في شكل آخر..»

-«وهل لديك فكرة عن سبب بقائنا للنهاية؟»

-«لا أعرف.. لكن لابد أن يبقى أحدهم في نهاية القائمة..»

-«إلى أي حد تعتقد أن ما حدث مصادفات؟»

-«كفي عن السخف.. الأمر يشبه ما قاله العلماء الملحدون: لو تركت قردًا يجرب حظه على الآلة الكاتبة لملايين السنين، فلسوف تجدين ذات

يوم على الورقة قصيدة لشكسبير!.. هذا ببساطة سخف.... أرفض أن اصدق أن تحدث عشر مصادفات متتالية لعشرة أشخاص...»

-«وماذا عن وجود قاتل يتابع الجميع ويرتب كل شيء؟»

-«قاتل يصيب البعض بالسرطان والبعض بالجذام ويفك عجلات البعض ويغرق البعض.. الخ؟.. دائما هو في المكان الصحيح والوقت الصحيح.. هذا قاتل كوني وله تحياتي فعلاً»

كل هذه المناقشات جرت من قبل ولم نتوصل لشيء..

عدنان القميء بشع الخلقة.. أراه أمامي الآن بوضوح تام.. الدم ينزف من معصمه المقطوع في زنزانته الفرنسية...

عيناه الناريتان..

أغمضت عيني ببطء.. لا تنم الآن يا كمال.. أريد أن اذهب إلى الحمام من أجل.. من أجل.. . . .

-٣-

صفاء.. صفاء.. استيقظي يا فتاة..

أنت غائبة في النوم لكن يجب أن تنهضي.. حرري قدميك من نهر النوم اللزج الشبيه بالعسل..

ضوء خافت واهن يأتي عبر خصاص النافذة.. إنه الفجر.. (صباحية مباركة يا عروسة)... لم تتصوري قط أن يبدأ شهر عسلك في غرفة قذرة كهذه.. دون أن يعرف أحد..

لا توجد ألوان.. درجات من الرمادي والأزرق الشاحب في الغرفة كلها، وكمال راقد جوارك بفانلته الداخلية، تتسع طاقتا أنفه الأسمر وتضيقان.. إنه نائم جدًا..

زوجك... زوجك لساعات محدودة إلى أن تلفظي أنفاسك الأخيرة!. تناولت أنامله ولثمتها..

تنهضين.. حقيبته جوارك على الكومود العتيق الذي يستند على ثلاثة أرجل.. ما هذه الرائحة في الحجرة؟.. رائحة محببة لكنها غامضة..

تفتحين الحقيبة وأنت في الفراش وتبحثين فيها.. من حقك الآن أن تعرفي المزيد عن زوجك..

هناك أوراق.. أوراق تتحدث عن عدنان بالتفصيل.. كل المعلومات عنه فلا يوجد شيء جديد.. لكن. الرجل مولود في ٩ نوفمبر!.. من قال إنه مولود في ١ يناير؟.. أخطأ كمال عندما قال هذا..

ولكن.. معنى هذا أن (عدنان) و(كمال) من برج العقرب كليهما.. عدنان لا يمت لبرج الجدي بصلة..

هناك صور.. صور من أرشيف الجريدة.. ١١ صورة لـ ١١ محررًا ممن تورطوا في قصة عدنان هذه.. هذا شيء متوقع ولا غرابة فيه.

لكن هذه الرائحة؟

نهضت في حذر فارتديت ثيابي لأنني كنت بثيابي الداخلية (لم احضر قمصان نوم ولا شيء على الإطلاق). وفتحت الباب.. دورات المياه في هذا الفندق مشتركة، وقد تسللت إلى الحمام وبدأت أغسل وجهي. لا شك في أن الرائحة تتزايد.. رائحة تذكرك بالشمع المحترق... اتجهت إلى دورة مغلقة وفتحت بابها حيث خيل لي أن الرائحة تأتي منها..

هنا وجدت أمامي مشهدًا مريعًا..

لقد استقرت على الأرض المبتلة الزلقة شمعة سوداء تشتعل في بطء وقد قارب نصفها النفاد... وعلى الجدار كانت هناك صورة..

صورة لي أنا تم تثبيتها بشريط لاصق.. هذه الصورة أخذها من الأرشيف طبعًا..

لقد رقد في الفراش ينتظر على أمل أن يزيل آثار هذا كله عندما تحترق الشمعة بالكامل، وبالتالي يخفي كل آثار الجريمة، لكن النوم غلبه من إرهاق اليوم..

شمعة سوداء تحت صورة هي من وسائل السحر الأسود القديمة جدًا.. عندما تنتهي الشمعة سوف تخرج الشياطين للظفر بي. عدنان كان بحاجة إلى من يكون بقربنا.. لهذا اختار واحدًا من برجه.. اختار (كمال). وكان على كمال أن يشعل في كل مرة شمعة سوداء تحت صورة الشخص الذي جاء دوره.. يشعلها حتى تنتهي عندها يكون قرار الإعدام قد صدر فلم يبق إلا التنفيذ... السحر بالاقتران؟.. هذا وارد.. إن شعيرات عديدة تلتصق بالشمعة وتلتف حولها ولا شك أنها شعيرات من رأسي. الوسادة مليئة بها. كمال كان قادرًا على الحصول على شيء يخص كل واحد منا.. منديل ورقي ألقته فتاة.. شعرة من فتى.. الخ..

عندما قال إن عدنان من برج الجدي كان يكذب ليضللني...

هل هو متآمر؟.. لا أعتقد.. لقد بدا لي صادقا.. ربما هو لا يعرف ما قام به.. على الأرجح هو لا يعرف.. إن روحا شريرة تستحوذ عليه..

في رعب مددت يدي وأطفأت الشمعة بين إصبعين.. ثم رحت أزيل ما التف حولها من شعر بحذر. كانت أمي توصيني بالتخلص من الشعر في دورة المياه، وكان معها كل الحق..

لو كان هذا صحيحا فـ (كمال) هو تجسد لعدنان.. يفعل ما أراد عدنان أن يفعله.. كمال هو المسئول عن موت عشرة أبرياء لم يقترفوا ذنبًا..

عدت للحجرة..

كان نائما نوما عميقا كنوم العرسان جميعا. جواره على الكومود كان غطاء معدني صغير دفن فيه بقايا سجائره.. تناولت أحد تلك الأعقاب التي بللها لعابه. فتحت حقيبته وبحثت عن صورته.. أخذت علبة الثقاب معي..

عدت إلى الحمام.. قمت بتثبيت عقب السيجارة على الشمعة السوداء. انتزعت صورتي.. مزقتها وتخلصت منها في المرحاض، ثم قمت بتثبيت صورته هو وأشعلت الشمعة من جديد..

الشمعة تتوهج.. الضوء يتراقص على الصورة والعينين..

وقفت أراقب الشمعة وهي تذوب ببطء... ببطء..

الصورة تتجعد من الحرارة..

لابد أن عشر دقائق كاملة مرت علي وأنا واقفة هناك أرمق هذا المشهد. في النهاية انتهت الشمعة فتخلصت منها والصورة في دورة المياه....

كان ما زال نائما عندما عدت للغرفة. انحنيت فلثمت خده.. لو لم أكن حمقاء فهي القبلة الأخيرة. ربما أنا أرملة فعلاً منذ ثلاث دقائق. أخذت حقيبتي وتسللت خارجة....

كانت الردهة خالية والكاتب نائما على منضدته في مدخل البناية. أمر أمام الجدران التي ألصقت عليها المرايا وأنظر لعشرات النسخ من وجهي الشاحب المرهق الحزين..

أخرج إلى الشارع الذي بدأ يكتسب لون النهار.. أرى حشدًا من الأطفال في ثياب المدرسة يثرثرون.. عندها شعرت بأنني أثوب لرشدي..

-٣-

صفاء.. صفاء.. أنت حامل يا فتاة..

لا أحد يعرف ولا أحد يتصور....

القصة المعقدة التي حكيتها عندما عدت للبيت صباحا. كل الكلام الفارغ عن العاطلين اللذين اختطفاك إلى شقة مفروشة واستطعت الهرب منهما.. البلاغ في القسم وعرض صور المشتبه فيهم عليك..

المهم أن أهلك ابتلعوا القصة.. كيف لو عرفوا أن ابنتهم متزوجة؟.. لو عرفوا أنها أرملة؟... لو عرفوا أنها حامل وأن ابنها يتيم من قبل أن يولد؟

أنت في مأزق..

على الأرجح ستحاولين التخلص من هذا الجنين.. ليس فقط لأن اهلك لا يتوقعونه، ولكن لأنه يحمل شيئا من كمال، وبالتالي هو يحمل شيئا من عدنان..

كائن كهذا يجب ألا يسمح له بالمجيء للكون..

كمال قد مات.. وجدوه ميتا بعد تلك الليلة بيومين في أحد المقاهي بالقاهرة. لم يجدوا علاقة بين موته وأي عقرب، لكني أعتقد أننا لو بحثنا لوجدنا علاقة قوية.. من المؤكد أن عقربا لم يلدغه لكن يمكنك أن تتخيل أكثر من طريقة مات بها.. عقرب ساعة.. شريط لفرقة السكوربيونز.. منتج اسمه (سكوربيو)... لا أعرف حقا..

إن هذه اللعنة واسعة الخيال..

لقد تحررت، وسوف أعيش حياة طبيعية قدر الإمكان. لكن السؤال الوحيد الذي سيؤرقني ولن أجد له إجابة هو: كيف كان عدنان ينوي أن يقتلني بحوت؟